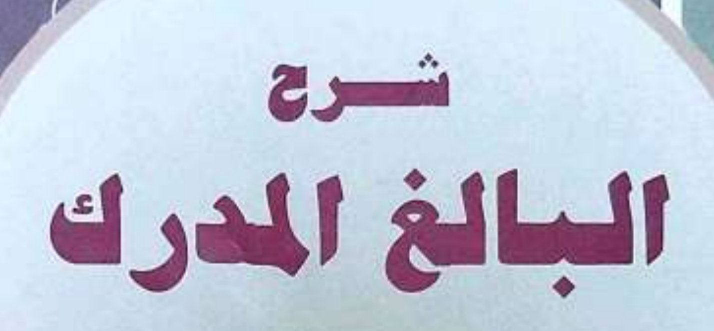


للإمام الناطق بالحق

أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني

حققه وعلق عليه

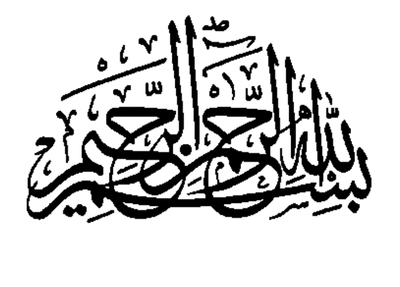
محمد يحيى سالم عزان

مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي

فائدة:
قال في هامش أصل هداية
الراغبين المطبوع بمركز أهل البيت
(ع) (ص ٢٥٣) :.
(قال في الهداية: وقد شرحه السيد
أبو طالب عليه السلام) :.
(في الحاشية: وكذا شرحه القاضي إسحاق
بن عبد الباعث بشرح بسيط جليل القدر
أبسط من شرح السيد الإمام ط.ص
هامش الأصل).

شرح

البالغ المدرك



بسم الله الرحمن الرحيم

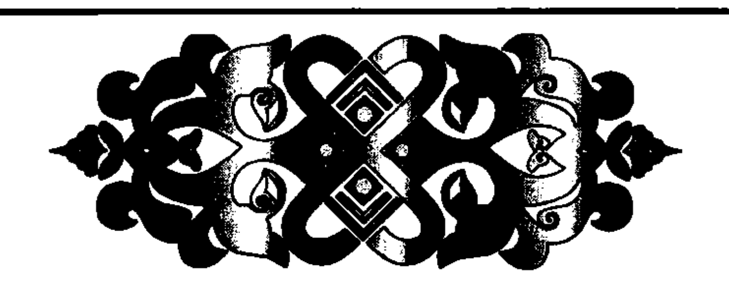
شرح

البالغ المدرك

للإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني

حققه وعلق عليه

محمد يحيى سالم عزان



مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي للطباعة والنشر والتوزيع

● الجمهورية اليمنية - صنعاء Republic of yemen - Sana'a
تلفون: ٢٦٩٠٩١ Tel: 269091
فاكس: ٢٦٩٠٧٩ - ص.ب: ٣٨٠١ Fax: 269079. P.O. Box: 3801

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد ..

فإن مسائل العقيدة من أهم ما يدرس ويوضح لاسيما وأنه قد شابها موخراً شيء من التعقيد في الطرح، والغلو في التفاصيل والإلزامات، وخُلِطت بماليس منها، وكتبت بأساليب كلامية جافة، لاتحرك قلباً ولاتلين فؤاداً.

وكتب القدماء من أهل البيت وغيرهم وبعض كتب المتأخرين أقرب إلى الحقيقة، وألطف في تقريب وجهات النظر، وأبعد عن المجازفة والتحكم، وأشد حذراً في استعمال العبارات والأدلة، لاسيما وأن مسائل العقيدة من الخطورة بمكان، إذ يبنى عليها مسائل الولاء والبراء وغيرها من المسائل الرئيسية في الشريعة.

وقد ساهم الإمام الهادي في هذا المضمار بكتب ورسائل كثيرة طَرق فيها جل مسائل العقيدة، ومنها رسالة ضمنها مايجب على البالغ المدرك اعتقاده، وكيف

يتوصل إلى العقيدة الصحيحة سليمة من الدغل والدخل.

وهذه الرسالة تخالف ماكتب في أصول الدين من حيث الأسلوب فهي إلى جانب كونها في مسائل الاعتقاد فهي تحمل نفساً روحانياً يهز المشاعر الميتة، ويوقظ القلوب من سِنة الغفلة، وهي مع سلاسة ودقة ألفاظها كثيرة الفوائد، وأضف الى ذلك أن الله هيأ لها الإمام أبا طالب ليشرحها، فضم إلى شذاها مسكاً، وإلى جمالها رونقاً، وإلى فوائدها فرائد ، فجاءت بهذا الصورة التي بين يديك.

وقد حاولت جهدي أن أصحح لفظها، وأبين غامضها، وأعلق عليها بمالابد منه، راجياً من الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وأن يحشرني مع الصالحين، إنه على مايشاء قدير.

وقبل عرض نص هذا الكتاب أضع بين يديك عزيزي القاري هذه اللمحات السريعة عن : الإمام الهادي (ع)، والإمام أبي طالب، وعن مضمون الكتاب، والصلة الفكرية بين أئمة أهل البيت، مع توضيح لعملي في تحقيق الكتاب ، ووصف للنسخ المخطوطة.

وأسأل الله التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين .

نبذة عن الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين (ع)

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي أبو الحسين، من عظماء الإسلام، وكبار أئمة الزيدية، ولد بالمدينة المنورة سنة (٢٤٥ هـ) ، وعاش في كنف أسرة مثالية جمعت خير خصال الأسرة النبوية، وترعرع في أحضان جبل الرس على مقربة من المدينة، وكان جده القاسم قد خرج بأسرته إلى ذلك المكان ليتمكن من تربيتهم تربية حسنة ويبعدهم عن ضجيج المدنية وفسادها.

وتميز الإمام الهادي (ع) منذ صباه بالذكاء والنبوغ والقوة والشجاعة، واستطاع من ذلك المكان المعزول أن يطل على العالم من خلال العلم.

ولما تجاوز مرحلة الطفولة لمع نجمه في سماء الفضيلة والعلم، فألف ورحل وخطب وشعر وناظر وأبدع، وبلغت أخباره بلداناً كثيرة فتجاذبته الشعوب للنزول في أوساطها وحمل لواء الإصلاح في مجتمعاتها.

وكان ممن راسله أبوالعتاهية الهمداني ــ من ملوك اليمن ــ ودعاه إلى بلاده، وأوفد إليه أكابر رجال اليمن يدعونه إلى الخروج إليهم، فلبى دعوتهم وخرج إلى اليمن مصلحاً سنة (٢٨٣ هـ). واليمن مدين له بخلاصه من فتنة القرامطة الأشرار، ولم يزل مجاهداً في سبيل الله مدافعاً عن الحق، ناشراً للفضيلة حتى قضى على سائر أنواع الفساد والإنحراف ، وعرف العدل والإنصاف في سيرته، حتى كان يقول: سيرة محمد وإلا فالنار . وله أخبار طوال جُمعت في

الكتب التي ألفت في سيرته وهي كثيرة .

ولم يزل الإمام الهادي (ع) يحمل مشعل الإصلاح، ويعمل على تزكية النفوس حتى قبضه الله إليه بصعدة سنة (٢٩٨ هـ) وقبره فيها مشهور مزور[1].

*****

(١) - انظر: سيرة الهادي، وكتاب الإمام الهادي والياً وفقيهاً ومجاهداً، الحدائق الوردية - خ -، الأعلام ٧١/٩، عمدة الطالب ٢٠٤، التحف ٦٢، سر السلسلة العلوية ٢٨، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٢٦٢/١، درر الأحاديث النبوية ١٩١، الفلك الدوار ٣٣.

ترجمة الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني

عُرِف أهل الجيل والديلم وطبرستان بولائهم الشديد لأهل البيت عليهم السلام، رغم أن معظم مَنْ دخل تلك البلاد منهم دخلها ملتجئاً هارباً من السلطة الغاشمة، وكان أول من دخلها الإمام يحيى بن عبد الله أيام هارون الرشيد،ثم تتابعت هجرتهم إلى هناك، ولبثوا فترة زمنية طويلة تمكنوا فيها من دعوة أهل تلك الديار إلى الإسلام؛ فاستجاب لهم خلائق كثيرون وبنوا المساجد، ومارسوا العبادة على أحسن حال، ثم توجهوا للإصلاح الشامل وإشاعة العدل والمعروف، واستطاعوا أن يقضوا على النظام الإقطاعي الجائر الذي كانت تستند عليه رؤساء العشائر، ويستبدلوه بنظام التعاون بين الطبقات المختلفة.

وكان ممن هاجر الى تلك البلاد السيد المحدث الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأقام فترة طويلة وأنجب إمامين جليلين، أحدهما الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين المولود (سنة ٣٣٣ هـ) ، والأخر الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين المولود سنة (٣٤٠ هـ)[١] .

ففي تلك المروج الخضراء والهواء الطلق، وبين تلك الجبال الشاهقة، وبعيداً عن ضجيج المدنية الخانق.. هنالك في أرض الجيل والديلم ولد الإمام أبو طالب، في أسرة علمية فاضلة، ومحيط ثقافي متميز، نشأ والفضائل تكتنفه من كل جانب، وعوامل التكامل وبناء الشخصية الرسالية متوفرة له؛ فوالده من أئمة العلم وفرسان الرواية،

---

(١) ـ الحدائق الوردية ٢/٨٨ ـ خ ـ.

وأمه شريفة فاضلة من بنات الشريف علي بن عبدا لله الحسني العقيقي، كـان لهـا حـظ وافر من الصلاح والاستقامة، وشقيقه الإمام المؤيد با لله أحمد بن الحسين، أحـد قـلاع العلم رواية ودراية، هذا إضافة إلى جهابذة من العلماء الذين كان يتقلـب في حلقـاتهم ويتلقى عنهم العلوم والمعارف، كالسيد الإمام أبي العبـاس الحسـني الزيـدي، والشـيخ أبي عبدا لله البصري المعتزلي، والمحدث أحمد بن عدي الحافظ السني، والشيخ محمد بـن محمد بن النعمان المعـروف بالشـيخ المفيـد الإمـامي وغـيرهم مـن بحـور العلـم وعلمـاء الإسلام على اختلاف اتجاهات مذاهبهم.

قال الشهيد حميد: « كان عليه السلام قد نشأ على طريقة يحكي في شرفها جوهـره ويحاكي بفضلها عنصره، وكان قد قرأ على السيد أبي العباس الحسني عليه السلام فقـه العترة عليهم السلام حتى لجج في غماره، ووصـل قعـر بحـاره، وقـرأ في الكـلام علـى الشيخ أبي عبدا لله البصري فاحتوى على فرائده وأحاط معرفة بجليه وغرائبه، وكذلـك قرأ عليه في أصول الفقه أيضاً ولقي غيره من الشيـوخ، وأخـذ عنهـم حتـى أضحـى في فنون العلم بحراً يتغطمط تياره، ويتلاطم زخاره »[1] .

فمـا أن بلـغ سـن الرشـد ومرحلـة الشـباب حتـى زاحـم مشـائخ العلـم في ميـدان المعارف، ونافس أرباب الحكمة والأدب، وقارع بالحجـة فقهـاء الأمصـار، ورحـل في طلـب العلـوم إلى بغـداد ورجـع وليـس لـه نظـير ودَرَّس بجرجـان[2]، وانتشـر صيتـه كانتشار ضوء النهار، فـألف وشـعر، وأفتـى ونـاظر، وكـان كمـا قـال المنصـور بـا لله عبدا لله بن حمزة: « لم يبق في فنون العلم فن إلا طار في أرجائه، وسبح في أثنائه »[3] .

---

(١) ـ الحدائق الوردية ٢/٨٨ ـ خ ـ.

(٢) ـ أخبار أئمة الزيدية في الجيل والديلم ١٢٥ ـ ١٢٦ عن كتاب جلاء الأبصار للحاكم.

(٣) ـ الشافي ١/٣٣٤.

فلم يمت حين مات وقد خلف وراءه تراثاً عظيماً في الفقه والأصول والأدب والتاريخ، فمازالت أصداء آرائه وتخريجاته وحججه تتردد بين جدران المساجد في حلقات العلم، وتُرسم في صفحات الكتب، ومازال العلماء فقهاء ومحدثين ومؤرخين ينهلون من معينه ويكترعون من فيض علومه، خلّف لنا تراثاً عظيماً يتمثل في:

- مواقف تاريخية مشرقة في الذب عن الدين والدفاع عن المستضعفين.

- كوكبة من تلامذته الأجلاء الذين نقلوا عنه العلم والمعارف.

- كنوزاً وذخائر من المؤلفات التي دون فيها أنظاره وجفف فيها أفكاره، وامتاز كغيره من أئمة الزيدية بالزعامة السياسية والدينية، فكان المنظور إليه بعد أخيه الإمام المؤيد با لله أحمد بن الحسين في العلم والفضل، وكانت آراء العامة والخاصة لاتختلف في أنه أجدر مَنْ في وقته بالزعامة، فلذا هرع الناس إليه بعد موت أخيه الإمام المؤيد با لله سنة (٤١١ هـ) يحثونه على الدعوة ونَصْبِ نفسه إماماً للمسلمين، فقام داعياً إلى ا لله وأجابه العلماء والفضلاء في طول البلاد وعرضها، وبذلك الحدث عمت الفرحة أوساط الجماهير، وعبر كل عن مشاعره بما يحلو له، وكان أبو الفرج بن هندو وهو من مشاهير الفلاسفة والأدباء ممن غمرتهم الفرحة والسرور فعبر عن ذلك بأبيات قال فيها:

سَــرَّ النبــوة والنبيــا ... وزَهَى الوصيَّة والوصيَّا
أن الدَّيــا لم بــايعت ... يحيى بنَ هــارون الرَّضيَّا
ثم استريت[1] بعــادة الــ ... أيــام إذ خــانت عليًّــا
آل النــبي طلبتُــمُ ... مــيراثكم طلبــاً بطيًّــا

(١) ـ كذا في بعض المصادر، وفي بعضها: استربت. وفي بعضها: استويت.

يـاليت شـعري هـل أرى　　نجمـاً لدولتكـم مضيًّـا

فـأكون أولَ مـن يَهُـ　　ـزُّ إلى الهِيَـاجِ المشـرِفيَّا

ولم تقع أي نزاعات أو حروب في زمانه لأنه كـان محـل رضـا جميـع الجماهـير مـن مختلف الفئات وسائر الطبقات، فلم يكن العامي أسرع إليه من العـالم، ولا العـالم مـن النّد المنافس.

ولم يزل يحكم بين الناس بالعدل ويسير فيهم سيرة الأنبياء ويقضي حوائج المحتـاجين ويدفع عن المظلومين ويحسن إلى المحرومين، ويقرب العلماء ويجالس الفقراء، ويسـتحث ذوي الكفاءات والخبرة على العمل وإفادة المجتمع، ولم يـأل جهـداً في ترسـيخ المفـاهيم الإسلامية ونشر المعارف الإسلامية، وتنشيط النهضة الثقافية التي تميز بها عصره وعصر أخيه من قبله في الجيل والديلم.

ونال الإمـام أبـو طـالب إعجـاب الكثـيرين بسياسـته كحـاكم، وبثقافتـه كعـالم، وبأسلوبه كمؤلف، وعبر كلٌّ عن جوانب إعجابه، وكان من مظـاهر ذلـك الإعجـاب مايلي:

- اشتهر عن الصاحب بن عباد أنه كان كثير الإعجاب بالسيدين الأخوين المؤيد بـالله وأبي طالب وكـان يُدِيـم مجالستهما، ويقـول عنهمـا: «مـاتحت الفرقديـن مثـل الأخوين»[1].

- وقال الحاكم الجشمي: «كان شيخنا أبو الحسن علي بن عبـدالله اختلـف إليـه مـدة بجرجان والسيد أبو القاسم الحسـني يخـرج مـن مجلسـه فيحكيـان عـن علمـه

---

(١) - الحدائق الوردية ٨٩/٢ - خ -. والفرقدين: نجمين في السماء.

وورعه واجتهاده وعبادته وخصاله الحميدة وسيرته المرضية شيئاً عجيباً يليق بمثل ذلك الصدر »[1] .

ـ وقال: « كان جامعاً لشرائط الإمامة لم يكن في عصره مثله مبرزاً في أنواع العلوم »[2].

ـ وقال: « كلامه عليه مسحة من العلم الإلهي، وحذوة من الكلام النبوي »[3]

ـ وقال المنصور با لله عبدا لله بن حمزة: « لم يبق من فنون العلم فن إلا طار في أرجائه وسبح في أفنائه »[4] .

ـ وقال الشهيد حميد: « كان عليه السلام في الورع والزهادة والفضل والعبادة على أبلغ الوجوه وأحسنها »[5] .

ـ وقال ابن حجر: « كان إماماً على مذهب زيد بن علي، وكان فاضلا غزير العلم مكثراً عارفاً بالأدب وطريقة الحديث »[6] .

ـ وقال أبو طاهر: « كان من أمثل أهل البيت ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع »[7] .

---

(١) ـ الحدائق الوردية ٨٩/٢ ـ خ ـ، وأخبار أئمة الزيدية في الجيل والديلم ١٢٧ عن جلاء الأبصار.

(٢) ـ أخبار أئمة الزيدية في الجيل والديلم ١٢٥ عن جلاء الأبصار.

(٣) ـ الحدائق الوردية ٨٩/٢ ـ خ ـ.

(٤) ـ الشافي ٣٣٤/١.

(٥) ـ الحدائق الوردية ٨٨/٢ ـ خ ـ.

(٦) ـ لسان الميزان ٢٤٨/٦.

(٧) ـ لسان الميزان ٢٤٨/٦.

- وقال الأمين: ((بلغ درجة كبيرة في العلم حتى قال الزيدية فيه: إنه لم يكن ثم أحد أعلم منه))[1] .

- وقال ابن عنبة: ((كان عالماً فاضلا، له مصنفات في الكلام، بويع له ولقب بالسيد الناطق بالحق))[2] .

وبعد مضي أربع وثمانين سنة من عمره، وانقضاء ثلاثة عشرة سنة من خلافته آذن بالرحيل إلى عالم الآخرة، وترك خلافة الدنيا، ولم يجمع من ورائها ديناراً ولادرهماً، وخلّف أهله وورثته على الحالة التي كانوا عليها قبل خلافته، فكانت وفاته عليه السلام سنة (٤٢٤ هـ) في أعمال ديلمان، وحمله ابنه إلى آمل ودفن في جرجان وقبره بها مشهور مزور إلى اليوم، ولم يخلف إلا ولداً واحداً هو: أبو هاشم محمد بن يحيى بن الحسين.

مؤلفاته

ترك لنا الإمام أبو طالب تراثاً ثقافياً عظيماً منه ماعثرنا عليه ومنه ماقرأنا عنه في كتب، فمما عثرنا عليه ووجدناه من أمهات الكتب المتداولة المعتمدة في الأوساط درساً وتدريساً وشرحاً وتخريجاً، وفي هذه العجالة أذكر أسماء كتبه التي عرفتها مشيراً إلى ذكر من ذكرها إن لم تكن موجودة:

١ - كتاب المبادي في علم الكلام - ذكره الإمام عبدالله بن حمزة[3] .

---

(١) - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١٣٠/٣.

(٢) - عمدة الطالب ٩٣، أعيان الشيعة ٢٨٩/١٠.

(٣) - الشافي ٣٣٤/١.

٢ ـ المجزي في أصول الفقه – ذكره الإمام عبدالله بن حمزة والشهيد حميد وغيرهما، وقال الشهيد حميد: « هو مجلدان وفيه من التفصيل البليغ والعلم الواسع مالايكاد يوجد مثله في كتاب من كتب هذا الفن »[1] .

٣ ـ التحرير في فروع الفقه – وهو كتاب جمع فيه مسائل فقه القاسم والهادي وولديه عليهم السلام، وصاغها بصياغة أنيقة مبوبة على أبواب الفقه. وفي مكتبتي منه نسختان مخطوطتان. قال الحجوري في الروضة: صنف كتاب التحرير وجمع فيه فقه أهل البيت، ثم شرحه واحتج له، فهو أجمع كتاب من كتب أهل البيت، وقد كلفت بتحقيقه، أسأل الله الإعانة عليه.

٤ ـ شرح التحرير – ذكره المنصور بالله وقال عنه: « اثني عشر مجلداً جامعة الأدلة والشروط والعلل والأسباب، لايكاد يوجد في كتب أهل العلم مايساويها »[2] ، وذكره الشهيد حميد وقال: « مجلدات عدة تبلغ ستة عشر مجلداً وفيها من حسن الإيراد والإصدار مايشهد له بالتبريز على النُظّار، فإنه بالغ في نصرة مذهب الهادي (ع) في كل وجه، وأودعه من أنواع الأدلة والتعليلات مالايوجد في كتاب، وفيه فقه جم وعلم غزير، وكذلك فإنه أودع فيه من مذهب الفقهاء مايكثر، وذكر المهم مما يتعلقون به، ورجح مذهب الهادي (ع) فيه حتى ظهر ترجيحه، وتوهجت مصابيحه، وذكى لكل مشتاق ريحه »[3] .

٥ ـ زيادات شرح الأصول – ذكره الشهيد حميد وقال عنه: « فيه علم حسن يشهد

---

(١) ـ الحدائق الوردية ٢/٨٨ ـ خ ـ.

(٢) ـ الشافي ١/٣٣٤.

(٣) ـ الحدائق الوردية ٢/٨٨ ـ خ ـ.

له بالبلوغ إلى أعلى منزلة من الكلام»[1] .

٦ ـ الدعامة في الإمامة - ذكره الشهيد حميد وقال عنه: «هو من عجائب الكتب، وأودعه من الغرائب المستنبطات، والأدلة القاطعة، والأجوبة عن شبهات المخالفين النافعة مايقضي أنه السابق في هذا الميدان، والمجلى منه في حلبة الرهان، وهو مجلد فيه من أنواع علوم الإمامة مايكفي ويشفي»[2] . وقد طبع هذا الكتاب باسم: نصرة مذاهب الزيدية، ونسبه محققه الدكتور ناجي حسن إلى: الصاحب بن عباد غلطاً وهو مشحون بالأخطاء والسقط. ويوجد عندي منه نسخة مخطوطة.

٧ ـ جوامع الأدلة في أصول الفقه ـ ذكره الشهيد حميد[3] .

٨ ـ التذكرة في فروع الفقه - ذكره الجنداري [4] .

٩ ـ جوامع النصوص - ذكره الزركلي [5] . ولعله المتقدم باسم: جوامع الأدلة.

١٠ ـ شرح البالغ المدرك - وهو هذا الذي بين يديك.

١١ ـ الإفادة في تاريخ الأئمة السادة - ذكره غير واحد ممن ترجمه[6] .

١٢ ـ كتاب الأمالي في الحديث - طبع بمكتبة دار الحياة طبعة رديئة مملوءة بالأخطاء والتصحيف، سأعمل على إخراجه وتحقيقه إن شاء الله.

---

(١) ـ الحدائق الوردية ٨٨/٢ ـ خ ـ، الأعلام ١٤١/٨.

(٢) ـ الحدائق الوردية ٨٨/٢ ـ خ ـ.

(٣) ـ الحدائق الوردية ٨٨/٢ ـ خ ـ.

(٤) ـ رجال شرح الأزهار ٤/١.

(٥) ـ الأعلام ١٤١/٨.

(٦) ـ هدية العارفين ٥٠٨/٢، مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ١٤٥.

تنبيـــه

ـ التبست على الحافظ ابن حجر ترجمته[1] فدمج بينـه وبـين الإمـام المرشـد بـا لله، فذكر أنه يقال له: الكيا يحيى، ونسب إليه مقولـة في الإماميـة أنتقدهـا عليـه الشـريف المرتضى، وحكىعن الدقاق أنه رآه في الري وقال: كان من الأئمة الحفاظ، وهذا كلـه يذكر عن الإمـام المرشـد بـا لله يحيى بـن الحسين الشـجري، فهـو مـن طبقـة الدقـاق والشريف المرتضى، واسمه: يحيى بن الحسين بن زيد بن الحسن بن جعفر بن محمـد بـن جعفر بن عبدالرحمن بن الحسن بن زيـد بـن الحسـن بـن علـي بـن أبـي طـالب عليهـم السلام.

ـ والتبست على العلامة آغا بزرك الطهراني ترجمته، فقال: « يحيى بـن الحسـين بـن هارون أبو طالب الحسيني الهروي من أكابر علمائنا يروي عـن أبـي الحسـين النحـوي وعنه محمد بن جعفر الحسيني الاسترابادي، ولـه كتـاب الأمـالي الـذي ينقـل عنـه ابـن طاووس، وهو مقدم على الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الأحـول بـن هارون الأقطع من أئمة الزيدية المولود (٣٤٠ هـ) المتوفى (٤٢٤ هـ) »[2] .

ويبدولي أن ذلك وهم ساقه اليه استبعاد أن ينال الإمام أبوطالب إعجـاب الإماميـة والزيدية معا، واتفاقهم على الرواية عنه، وأخذه عـن علمـا الفريقـين، ومـا ذكـره مـن المميزات والأوصاف مجتمعة فيه، إلا تصحيف (الهـاروني) الى (الهـروي) ، وتصحيـف (الحسني) الى (الحسيني) .

---

(١) ـ لسان الميزان ٦/٢٤٨.

(٢) ـ طبقات أعلام الشيعة ـ نوابغ الرواة ٣٣١.

الكتاب

كان الإمام الهادي عليه السلام كثير الانشغال بأمور الجهاد وسياسة الدولة، فلذا كان لايكتب نصاً أو يدون كتاباً إلا من موضع الحاجة الماسة، وقد حفظ لنا التاريخ عنه نصوصاً قيمة في مختلف جوانب المعرفة، ولأن معظم كتاباته كانت تعتمد اعتماداً كلياً على الاستيحاء من نصوص القرآن الكريم فهي حية على مر الأزمان، خالدة بخلود القرآن، أضف إلى ذلك سلاسة في ألفاظها، ووضوحاً في حججها، وإيجازاً في لفظها.

ومن تلك النصوص هذا النص المتضمن **لمايجب على البالغ المدرك من الاعتقاد والعمل**، وخلاصة هذا النص: أنه يجب على البالغ المدرك النظر والتفكر في ماحوله من عجائب المخلوقات وغرائب المصنوعات. والنظر بدوره سيكشف له أن هذه الحكمة وهذه الدقة التي يتحرك هذا الكون وفقها تجري بتدبير مُدَبِّر وفعل فاعل وخلق خالق لايشبهها في ذاتها ولا في صفاتها، إذ المِثْلُ جائز عليه ماجاز على مثله من التغير والزوال والعجز والزيادة والنقصان. وهذا الخالق ممتن عليها بإحداثها وإبقائها، وتلك المنة نعمة منه يجب شكره عليها شكرا يخبرنا هو كيفيته.

وحين كان الخبر لايمكن من الله مشافهة تعين إرسال رسل وإنزال الكتب على مواصفات خاصة، وتأييد ذلك بالمعجزات البينة والآيات الظاهرة، ومن ثمة تعليم المخلوقين كيفية شكر المولى عز وجل، وأن ذلك يكون بالطاعة المطلقة وتوجيه العبادة له.

فمن أدرك الأنبياء وشهد عصورهم لزمه القبول لما جاؤا به، ومن تراخت به الأيام عن لقائهم وكان في غير أعصارهم فالحجة عليه بتوالي الأخبار التي في مثلها يمتنع الكذب ولايتهيأ، وما نقل من الأخبار تستنكره العقول وتحيل أن يجيء به رسول

فسبيله الشذوذ والغلط في التأويل ومعرفة مخرج الخاص من العام والمحكم من المتشابه.

ثم أشار بعد ذلك إلى أن الأخذ بهذه الأخبار وتقليد المشائخ في اعتمادها هو الذي أدى إلى أن تقسمت الأهواء وتفرقت الآراء ونُبِذ القرآن وبُدِّلت الأحكام وخولف التوحيد، وأحيلت الذنوب على الله وشُبِّه بمخلوقاته، ثم أوضح أن رُسلَ الله بَلَّغوا ماعليهم من فرض النصيحة وأوقفوا العباد على مناهج السلامة وحذروهم طرق الحَيْرة، وصبروا في جنب الله في البأساء والضراء.

ثم ذكر أنه يأتي فيما بين أزمنة الرسل فترات يدفن فيها الحق ويغمض فيها البرهان، ولكن فيها كتب الله وحججه وبقايا من أهل العلم يحيون العلم ويحيون به، ويقيمون الدنيا مقامها، ويمهدون لطول المنقلب، وفي الخلق من قد استبهم في الفهم، وولج مضائق الحيرة، وغفل عن تمييز الأمور، فيجب على كل بالغ عاقل أن ينظر في نجاته، ومن المخلوقين من يطيع ومن يعصي.

فإذا تصرمت أعمار المطيعين و لم يثابوا، وانقضت آجال العاصين و لم يعاقبوا، وجب أن داراً غير هذه الدار يثاب فيها المطيعون ويعاقب فيها المسيئون، وتلك الدارهي دار الآخرة. وبهذا ينتهي ملخص الفكرة.

وهذا النص رغم صغره يهز المشاعر ويثير دفائن العقول، ويدعو للتأمل ومراجعة النفس والنظر فيما يوجب النجاة.

وشاء الله أن يصل هذا النص إلى بلاد الجيل والديلم ويقع بين يدي الإمام أبي طالب فرأى أن يشرحه بهذا الشرح الذي بين يديك وقال: «لما اتصل بنا كلام في التوحيد للإمام الباسل، السيد الفاضل، أبي الحسين يحيى بن الحسين وصله الله بأسنى الكرامات، وأحله من الجنة أعلى الدرجات، تأملناه ناظرين، وتبيناه مستبصرين؛ فرأيناه مشتملا على جملة من التوحيد، محتملا لشرحها بكلام مديد، يُسَهِّلُ منه ماتوعر

على المتعلم، ويُحَصِّلُ ماتعذر علمه على المتفهم، فيستغني بهـا المُوَحِّـد المفتقـر، ويقتـني علمهـا إلى علمـه المُسْتَكثر، لأن الكتـب المبسـوطة في علـم التوحيـد كثـيرة، والرُّتـب المشروطة فيها كبيرة، ولم نر تخليتـه مـن الشـرح صواباً، ولاتعريتـه مـن المـدح مَثَاباً، فتَوَخَّينا فيه القصد، وأبلينا فيه الجهد، مستعينين با لله على تحصيل المراد فيه، ومتوكلين عليه للإصابة في معانيه، وسائلين فيه الصلاة على سيدنا محمد الوجيه، وعلى علي والأئمة من بنيه».

وكتب الإمام الهادي (ع) تمتاز بالإيضاح وعـدم التعقيـد، حتـى أن الشـارح نـادراً مايجد تعقيداً فيحله، أو غامضاً فيكشفه، ولـذا لم تتعـرض كتـب الإمـام الهـادي (ع) لشرح إلا على سبيل إظهار الأدلة والحجج والتخريج والاستطراد.

وقد تطرق شارح هذا النص ـ إضافة إلى بيان بعض المفردات ـ إلى:

١ ـ بحث في أهمية النظر والتفكير واستخدام العقول.

٢ ـ بحث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما ومايترتب عليهما.

٣ ـ كيفية التعامل مع الأخبار والأحاديث ، وتقييم بعض الرواة وكتب الحديث.

٤ ـ بحث ضمنه طرفاً من فضائل أهل البيت.

٥ ـ بحث في التسامح في مسائل الخلاف في الفروع وعدم الاعتراض على المخـالف في مسألة فرعية توصل بالنظر إليها أو قلد فيها من يثق به من أهل العلم.

هذا إضافة إلى مايتعلق بموضوع الكتاب، مثـل الأدلـة علـى الخـالق، وتفضلـه علـى المخلوق، وأدلة النبوة، ونحو ذلك مما له علاقة بصلب موضوع الكتاب، وقد جاء هـذا الشرح مملوءاً بالفوائد، مطـرزاً بالشـوارد، في اللغـة والأصـول والفقـه والحديـث، لأن مؤلفه كان من أرباب هذه العلوم.

الصلة الفكرية بين أئمة أهل البيت (ع)

المسئولية التي من أجلها عاش أهل البيت (ع) هي تلك التي جاءت الأديان السماوية لأجلها، فعاشوا بين مصلح وثائر، وهان عليهم أن تسفك دماؤهم و يصلّبوا على أبواب المدن وأفواه السكك، أو يشردوا عن أهلهم وأوطانهم؛ لما رأوا الجور والإستبداد و لم يطيقوا الذل والهوان ومداهنة الحكام المفسدين.

ونتيجة لذلك عاش الإمام أبو طالب وذووه في أقصى شمال العالم الإسلامي، في بلاد الجيل والديلم على سواحل بحر قزوين، وعاش الإمام الهادي يحيى بن الحسين وذووه في أقصى جنوب العالم الإسلامي في اليمن، ورغم ذلك التباعد الجغرافي وصعوبة الاتصال بين البلدين، واختلاف البيئة والتراث، لم تزل الوحدة الثقافية والفكرية تربط بينهم وتدفعهم إلى العمل من أجل الهدف والقضية المشتركة التي من أجلها تفرقوا. فماجاء به الإمام الهادي إلى اليمن هو نفس ماذهب به الأئمة والمصلحون إلى بلاد الجيل والديلم ونواحيهما، لأن الجميع ارتوى من معين واحد.

وقد حظيت كتب الإمام الهادي عليه السلام بعناية مميزة في بلدان الجيل والديلم وطبرستان حتى فاقت شهرتها هنالك شهرتها في اليمن، ومن مظاهر تلك العناية مايلي:

١ ـ قام الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني بشرح كتاب الأحكام شرحاً حافلا، ذكر بعض المؤرخون أنه بلغ حمل جمل، وهذا الشرح مفقود بالنسبة لنا حتى الآن.

٢ ـ قام العلامة الحافظ علي بن بلال بشرح للأحكام أيضاً، فرغ منه في مجلدين ضخمين، اطلعت على المجلد الأول منهما، وقد بسط مؤلفه فيه الأدلة على ماذهب إليه

الإمام الهادي من المسائل الفقهية مؤكداً ذلك بالأحاديث المسندة من طرق مختلفة.

٣ ـ قام الإمام المؤيد با لله أحمد بن الحسين الهاروني بجمع مسائل فقه الإمام الهادي وجده الإمام القاسم في كتاب سماه: (التجريد)، ثم شرحه بشرح فريد ضمنه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على ماذهب إليه الإمام الهادي وجده القاسم، وأظهر فيه روائع العلم حتى قيل إنه أحسن ماألف في كتب الزيدية في بابه. ونسخه موجودة وكثيرة بحمد ا لله.

٤ ـ قام الإمام الناطق بالحق أبو طالب بجمع مسائل فقه الإمام الهادي وجده القاسم وولديه المرتضى والناصر في كتاب سماه: (التحرير)، ثم أردفه بشرح ذكر أنه اشتمل على الأحاديث المسندة، والحجج المختلفة، وذكر مذاهب الفقهاء، ومناقشة أدلتهم، وترجيح مذهب الإمام الهادي. وهو من جملة الكتب التي لم نعثر عليها حتى الآن.

وشرح كتاب التجرير هذا القاضي زيد بن محمد الكلاري الجيلي بشرح يعتبر موسوعة في التخريج على مذهب الإمام الهادي، وهو مشهور بأسم: (شرح القاضي زيد).

وشرحه أيضاً الأمير العلامة الحسين بن بدر الدين بشرح لطيف سماه (التقرير شرح التجرير).

٥ ـ قام الإمام أبو طالب أيضاً بشرح كتاب البالغ المدرك للإمام الهادي بهذا الشرح الذي بين يديك وغير ذلك كثير.

وفي المقابل نالت كتب علماء الجيل والديلم في اليمن اهتماماً كبيراً وسدت فراغاً واسعاً في المكتبة الزيدية في اليمن، حتى أنها تكاد تذكر كجزء من التراث اليمني.

عملي في الكتاب

هذا الكتاب كغيره من الكتب المخطوطة القديمة يحتاج إلى عنا في قراءة نصه وضبط ألفاظه المشتبهة ومتابعة مايحتاج إلى متابعة، فبعض التصحيفات تؤدي إلى عدم فهم المعنى المراد من النص .

وكانت خطة عملي في تحقيق هذا الكتاب كمايلي:

- استخرجت نسخة من الكمبيوتر بعد الصف وقابلتها على أصلها ونسختين أخريين وأثبت ما اختلف بينها في الهامش.
- وضعت هذه المقدمة المختصرة المتضمنة للتعريف بالكاتب والكتاب.
- وضعت فهارس فنية هي: فهرس آيات، فهرس أحاديث، فهرس أعلام.
- كنت أريد وضع عناوين للمباحث ولكني اكتفيت بإبراز نص المتن المشروح لأنه يؤدي الغرض المطلوب.
- قَطَّعت النص إلى فقرات والفقرة إلى جمل، واستخدمتْ في ذلك علامات الترقيم المتعارف عليها كالنقطة والفصلة والقوس ونحو ذلك.
- خرجت الآيات القرآنية وضبطتها بالشكل.
- شرحت الغريب من الألفاظ اللغوية وضبطتها وعلقت على مايحتاج إلى تعليق وإيضاح.
- أدرجت بعض الزيادات الضرورية إما لتقويم النص أو لتوضيحه، ومازدته جعلته بين معكوفين هكذا: [ ].

ـ خرجت الأحاديث تخريجا مختصرا يفي بالمراد ، وما لم أعثر عليه نبهت على ذلـك في الهامش.

ـ ترجمت الرجال الواردة أسماؤهم في الكتاب تراجم مقتضبة كل بما يتناسب مع حاله.

ـ وضعت النص المشروح بين قوسين هكذا ( ) وميزته بخط ثخين .

ـ وبعد أن تم وكمل ما يتعلق بتحقيق النص قرأته على شيخنا العلامة يحيى بن الحسين الخشحوش أمد الله في عمره وصححت مافاتني من أخطاء .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

*****

النسخ المعتمدة

اعتمدت في تصحيح ومقابلة هذا الكتاب على ثلاث نسخة خطية هي:

النسخة (ج) وهي بخط الوالد العلامة محمد بن الحسن العجري وكتب في آخرها مالفظه: قال في الأم المنقول منها هذا مالفظه: وكان الفراغ من تحصيل الكتاب المبارك يوم السبت لعله حادي عشر يوم خلى من شهر صفر سنة ثمانية وستين وألف (١٠٦٨ هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتسليم ولاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم.

ووقع الفراغ من زبر هذا يوم الإثنين الموافق ١٥ شهر جماد أول سنة (١٤٠٨ هـ) بهجرة ضحيان حرسها ا لله بالعلماء والصالحين آمين، بقلم الفقير إلى ا لله محمد بن حسن العجري عف ا لله عنه.

ثم قال بعد ذلك: تم بحمدا لله قصاصة هذه النسخة على نسخة صحيحة نسخت سنة (١١١٢ هـ) وقد تحرينا جهدنا في ذلك وا لله الموفق فليعلم ليلة الاثنين الموافق ٢٩ شهر جمادى الأولى سنة (١٤٠٨ هـ).

النسخة (ض) وهي من مكتبة الأخ الفاضل عبدالملك يحيى الضحياني أخذتها عارية منه، كتب في آخرها: كان الفراغ من رقمه وزبره وتحريره بمن ا لله وفضله يوم الخميس يوم الغدير الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام سلخ سنة اثنتي عشرة ومائة وألف بخط مالكه الفقير إلى ا لله محمد بن قاسم بن سليمان بن محمد الخباط الحميري نسباً الصعدي بلداً الزيدي مذهباً العدلي معتقداً، ثبته ا لله ووفقه، وصلى ا لله على محمد وآله.

وكتب بعد ذلك بخط مختلف: بلغ بحمد الله ومنه وفضله وطوله وامتنانه قراءة محكمة مقررة على يدي سيدنا وبركتنا العلامة الفهامة عبدالله بن علي الشاذمي حاد الله في مدته وبارك في أوقاته وتلك مبتدياً وخاتماً بمسجد الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بمحروس هجرة فلله عمرها الله بالتقوى آمين. وذلك التمام يوم الخميس لثالث يوم شهر الحجة الحرام سنة (١٣٧٩ هـ) قال ذلك وحرره الفقير لأمر الغني به عمن سواه الطامع من ثوابه علي بن عبدالله الخطاب.

النسخة (هـ) وهي من مكتبة الوالد العلامة محمد بن عبدالعظيم الهادي، وفي آخرها مالفظه: كان الفراغ من رقمه وزبره وتحريره بمن الله وفضله يوم الجمعة لعله خامس عشر شهر شعبان سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وألف بخط مالكه الفقير إلى الله الغني به عمن سواه حسين بن قاسم بن حسين بن درهم الهاشمي، وصلى الله على محمد وآله.

وقد رجعت في تصحيح النص المشروح إلى بعض نسخ البالغ المدرك المفردة، أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، واليك صور من المخطوطات الثلاث التي أعتمدت عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

هذا كتاب البالغ المدرك للامام الاعظم نجم العترة ابن الرسول والسابق امام اليمن الهادي
المؤمن ابي الحسين المنزه عن كل شين امير المؤمنين وسيد المسلمين وامام المتقين من وردت
به الاثار وكثرت فيه الاخبار المشهور بذي الفقار يحيى بن الحسين بن القسم بن ابراهيم بن اسمعيل
بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم وسلم اجمعين واله عليه السلام على البالغ
المدرك في بلاد الكفر وغيرها ان ينظر الى هذه الاعاجيب المختلفات اللتي كانت بالحواس من السماء والارض
وما بث فيهما من الحيوان المجتلبة الى انفسها المنافع النافرة عن المضار انها محدثة للهيئة الاختلاف فيها
معترفة بالعجز على انفسها انها لم تصنع انفسها ولم تشاهد صنعتها وتعجز ان تصنع مثلها وتعجز ان تصنع
ضدها فلما شهدت العقول على ان هذا هكذا ثبت ان لها مدبرا حكيما دبرها ومتقنا اتقنها
وقاصدا قصدها ليس له شبيه ولا مثيل اذ المثل جايز عليه ما جاز على مثله من الانتقال والزوال والعجز
والزيادة والنقصان فان ثبت ان لها اله المنة عليها اذ كانت النعمة باتصالها في البقاء ونفورها عن الفنا
دالة على المنة عليها بالبقاء وان المنان عليها ببقائها هو المنعم عليها ثبت انه اهل له فاذا علم البالغ ان هذا
هكذا كان عليه ان يعلم ان يشكر المنعم عليه واذا كان عليه ان يعلم ان يشكر المنعم عليه هو الطاعة له وفي الحكمة
التقويم بين المطيع والعاصي وفي ذلك ايجاب الثواب والعقاب فلما تصرمت اعمار المطيعين ولم يثابوا
وتقضت اجال العاصين ولم يعاقبوا وجب على قود التوحيد بلا ارادة الحكمة ان دارا بعد هذه الدار يثاب
فيها المطيعون ويعاقب فيها المسيئون وهذه امور اوجبتها الفطرة واستحقت بالايمان وقليل من
تعرت المعرفة في قلبه الا باستقرارها او لها اولها وشهادة بعضها على بعض وتقضي كل شي منها ما قبله
وبحثه واستنباط حدك بكله في العقول فلما ان كان ذلك كذلك كان في ضرورة العقل ان لا سبيل له الى
علم كيفية الطاعة عند الخبر من عند المنعم بكيفية الطاعة اذ لا يمكن الخبر من الله ملاقاة لله فاذا علم
ان الخبر لا يمكن من الله مشافهة لله علم ان خبر الطاعة لا يمكن الا برسول من عند المنعم بابن من البشر
في اعلامه وافعاله فمن هاهنا لزم البالغ المدرك ان يعلم ان لله رسولا من قبل اخبار الناقلين على المرسل
الا بعثة الرسل وكانت الرسل من البشر وفي مثل بني آدم المبعوث اليهم وعبادا لله مثلهم لم يجب
تصديقهم على الله الا بدلالة بينة وحجة واضحة يعلم الخلق عجزهم عنها ان الله تولى ذلك على ايديهم فاتت
الرسل بالايات التي ليس في قول الخلق ان يأتي بمثلها فوجب تصديقهم على الله بغير الحجة والسامعين
ادركت ان منهم وشاهدهم في عصورهم وقامت عليه حجتهم لزمه الاقرار بهم والتسليم لامرهم
والقبول لما جاوا به وسقط عنه كثير من الكلفة في معرفة الاخبار واتقان الناقلين ومن غاب عنهم ما
قامت عليه الحجة كلفه الله الذب عن دينه والقيام بحجته ومن تراخت به الايام عن لقائهم وكان
في غير اعصارهم كانت الحجة عليه في معرفتهم والتصديق لما جاوا به والديانة لما دعوا اليه من الاخبار
التي مثلها يمتنع الكذب ولا يتهيا بالاتفاق ويكون سامعها مضطرا في فطرته الى ان ناقليها لا يمكن
مثلهم الكذب ولا التواطؤ ولا المقالة كقوم مختلفي الاجناس متبايني البلدان منقطعي الاسباب متفاوتي
اللقاء متنائي الديار ينقلون خبرا واحدا منسق النظام بعيدا من الغلط يحصنا من الوهم ولعله
عز وجل في مال اخبارهم وبه لا يتعاون فيه مخارج من يكذب ويكاد يكون ولما ان يكون عيانا وقد

الصفحة الأولى من النسخة (ض)

الصفحة الأولى من النسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي جعل العقول سُرُجاً للمتوسمين وحججاً قاطعة للملحدين وعصماً متينة للمتمسكين لا تخفى لها الأنوار الساطعة ويتربوا بها الأقطار الواسعة تهدي للناظرين بها طريق النجاة وتؤدي إلى المثابة وتجنى بها شرائف الحكمة ومن أجل تلك الفوائد معرفة بارئها القديم الواحد الذي عجزت عن اقتناص كنهه بغيضها ورجعت خاسئة في اقتناص من حرمها. ولما اتصل بنا كلام في التوحيد للإمام الناسك السيد الفاضل أبي الحسين يحيى بن الحسين وصلهه الله بأسنى الكرامات وأحله من الجنة أعلى الدرجات تأملناه ناظرين وتبيناه مستبصرين فرأيناه مشتملاً على جملة من التوحيد محتملاً للشرح بكلام يسهل فيه ما توعر على المتعلم ويحصل ما تعذر علمه على المتفهم فيستغني بها الموحد المفتقر ويقتني علمها إلى علمه المستكثر لأن الكتب المبسوطة في علم التوحيد كثيرة والرتب المشروطة فيها كبيرة ولم نر خلت من الشرح صواباً ولا تعريته من المدح متاباً فتوخينا فيه القصد وأبلينا فيه الجهد مستعينين بالله على تحصيل المراد فيه ومتوكلين عليه للإصابة في معانيه وسائلين فيه الصلوة على سيدنا محمد الوجيه

وعلى آله

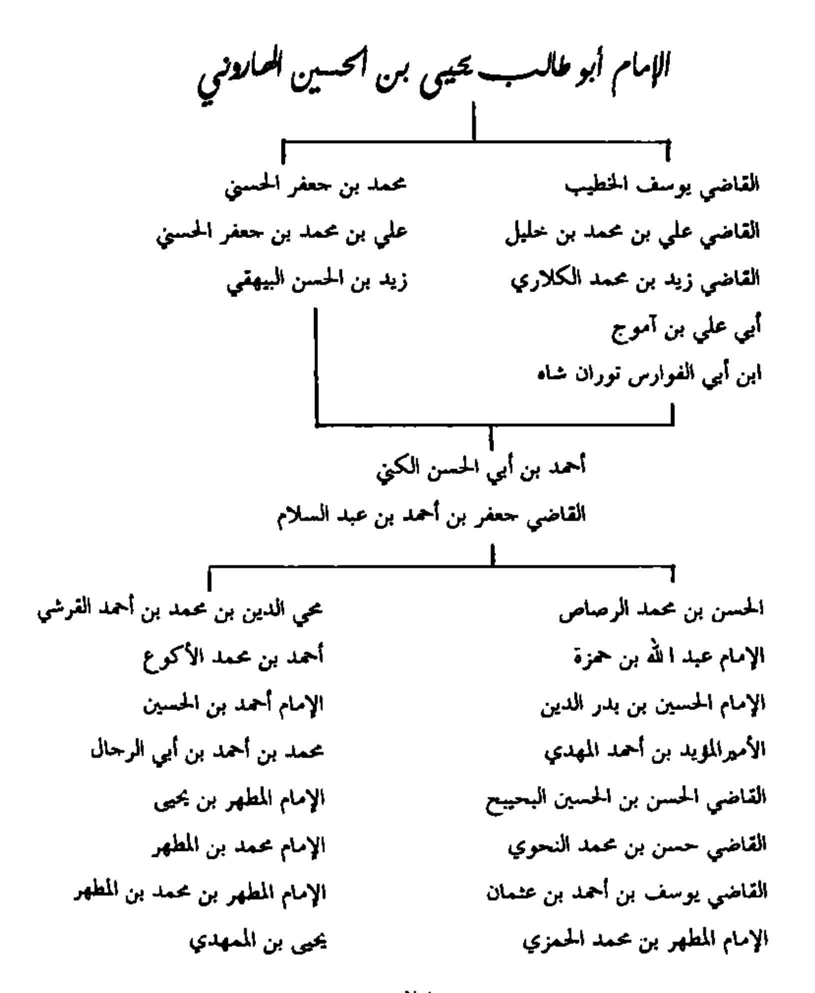
[الهامش: يخبو أو يحجب ... وحججاً مبينة للمكلفين]

الصفحة الأولى من النسخة (ج)

سند الكتاب

من نافلة القول تأكيد نسبة هذا الكتاب الموسوم بـ(شرح البالغ المدرك) إلى مؤلفه الإمام أبـي طـالب يحيى بن الحسين الهاروني، لأن ذلك مشهور بين العلماء والباحثين متداول بينهم ، ونص عليـه أكـثر أهل الإجازات، واقتبس منه كثير من المؤلفين مؤكداً نسبته إلى مؤلفه .

وإليك سند الكتاب متصلا إلى مؤلفه بالرواية من طريق فطاحلة العلماء وأئمة الأسانيد:



علي بن زيد بن الحسن — عبد الله بن يحيى أبو العطايا

علي بن أحمد السطي — صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير

الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين

أحمد بن عبد الله الوزير

أمير الدين عبد الله بن نهشل

الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد

المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم — الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم

أحمد بن صالح بن أبي الرجال — أحمد بن سعد الدين المسوري

الحسين بن أحمد زبارة — القاضي أحمد بن محمد بن الأكوع

يوسف بن الحسين زبارة — صارم الدين إبراهيم بن القاسم

الحسين بن يوسف زبارة — محمد بن أحمد مشحم الصعدي

أحمد بن يوسف زبارة — علي بن أحسن جميل الداعي

الحسين بن أحمد السياغي

عبد الله بن علي الغالبي — محمدبن عبد الله الوزير — إسماعيل بن محمد الكبسي

محمد بن إسماعيل الكبسي

محمد بن أحمدالعراسي — محمد بن عبد الله الغالبي — الحسن بن يحيى القاسمي — محمد القاسم الحوثي — أحمد بن محمد السياغي

حسين العمري — يحي صلاح ستين — عبدالله بن الحسن القاسمي — محمد بن منصور المؤيدي — عبد الواسع الواسعي

أحمد بن محمد زبارة — علي بن محمد العمري — مجد الدين المويدي — حمود عباس المؤيد

محمد بن الحسن العمري

محقق الكتاب محمد يحيى سالم عزان

وأخيراً ..

لايفوتني أن أدعو شبابنا إلى خدمة هذا التراث العظيم وإخراجه إلى ميادين القراءة والتثقيف، والا يشغلوا أوقاتهم بالأماني والآمال، فآلاف الكتب المخطوطة في انتظارهم ليمسحوا عنها الغبار ويخرجوها للناس لتؤدي دورها في الهداية وتصحيح المفاهيم.

كما أدعو الكسالى والمتربصين الذين لايجيدون إلا اقتناص الهفوات والفلتات أن ينصرفوا عن هذه الأعمال الرخيصة ويجربوا العمل في هذا الميدان أو في أي ميدان آخر من ميادين العمل في خدمة الفكر ولاشك أنهم سيقفون على حقائق كانت عنهم غائبة، ويكتشفون أجواء جديدة ، ويخرجون من الفراغ القاتل الذي صير وجودهم وجوداً سلبياً على الفكر والمجتمع.

وأسأل الله لي ولسائر المسلمين الثبات والتوفيق، وأن يعين كلا على أداء دوره في مجال عمله على أحسن وجه، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الطاهر الأمين.

محمد يحيى سالم عزان

صعدة ـ ٥/شوال/١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

بالله تعالى أستعين وأتوكل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الحمد لله الذي جعل العقول سُرُجاً للمتوسمين، وحججاً[1] قاطعة للملحدين، وعِصَماً متينة للمتمسكين، وقِسَماً مُبَيَّنة للمكلفين، تخبو[2] لها الأنوار الساطعة، وتربو بها الأقطار الواسعة، تَهْدِي الناظر بها طرائق النعمة، وتؤدي إلى المشاور بها شرائف الحكمة، ومن أجَلِّ تلك الفوائد، معرفةُ بارئها القديم الواحد، التي عجزت عن اقتناص كنهه بفحصها، ورجعت خاسئة في اقتماصٍ من حرصها.

ولما اتصل بنا كلام في التوحيد للإمام الباسل، السيد الفاضل، أبي الحسين يحيى بن الحسين وصله الله بأسنى الكرامات، وأحله من الجنة أعلى

---

(١) - في (ض، هـ): حجة.

(٢) - في (ج): تخفوا.

الدرجات، تأملناه ناظرين، وتبيناه مستبصرين؛ فرأيناه مشتملا على جملة من التوحيد، محتملا لشرحها بكلام مديد، يُسَهِّلُ منه ماتَوَعَّر على المتعلم، ويُحَصِّلُ ماتَعَذَّر علمه على الـمُتَفَهِّم، فيستغني بها المُوَحِّد المفتقر، ويقتني علمها إلى علمه المُسْتَكثر، لأن الكتب المبسوطة في علم التوحيد كثيرة، والرُّتب المشروطة فيها كبيرة، ولم نر تخليته من الشرح صواباً، ولاتعريته من المدح مَثَاباً، فتَوَخّينا فيه القصد، وأبلينا فيه الجهد، مستعينين با لله على تحصيل المراد فيه، ومتوكلين عليه للإصابة في معانيه، وسائلين فيه الصلاة على سيدنا محمد الوجيه، وعلى علي والأئمة من بنيه..

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

(يجب على البالغ الـمُدْرِك) .

قوله: (يجب) أي يلزم المكلف المخاطَب بالتكليف. والإلزام هو: الإيجاب، لذلك يقال: أوجب عليه القاضي كذا وكذا، إذا حكم عليه بحكم. وقَطَعَ وفَرَضَ[1] بمعنى واحد. والمعنى: أوجب الله على البالغ. ودخل الألف واللام لاستغراق الجنس، وتَوَجَّه الخطاب إلى البالغ والبالغة، ومن حقيقة اللفظ إذا ورد في شيء استغراقُ جنسه، حتى يدل دليل على التبعيض، فيَقْتَصِر على ذلك. قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [النساء:١] ، دخل في ذلك من عُرِفَ بالإنسانية بهذا اللفظ، ولولا أمر من الله سبحانه خَصَّ فيه العقلاءَ لكان ذلك كذلك[2].

لأن العربية التي نزل القرآن بها، تنقسم ـ في أصول الفقه ـ على ثلاثة أوجه، لايخرج شيء من الكلام المفيد عنها:

أحدها: الأمر.

الثاني: النهي.

الثالث: الخبر.

---

(١) ـ في (ج): وقطع وحكم.

(٢) ـ يعني لكان الخطاب موجهاً إلى كل الناس بمن فيهم الأطفال والمجانين ونحوهم.

وماعدا ذلك من الأقسام راجع في المعنى إلى هذه الوجوه، لأن الوعد والوعيد، والقَسَم والجحود، والنفي والإثبات ـ وماشاكل ذلك ـ راجع إلى الخبر، لكنه يوصف بماذكرنا[1] لزيادة فائدة، أو لضرب من الاختصاص، وأما السؤال والطلب والدعاء، فإنه ـ وماشاكله ـ يرجع في المعنى إلى الأمر والنهي.

وأما الاستخبار، فهو طلب من المُخْبِر أن يُخبِر ويُعَرِّف، فهو إذاً داخلٌ في الأمر، والخبر هو كل جملة من الكلام يصح فيها الصدق والكذب، فإن كان مُخبَره على مايتناوله كان صِدْقاً، وإن لم يكن على مايتناوله كان كذباً.

وصيغة الأمر هو قول القائل لغيره: إفعل. ولايكون الخبر خبراً إلا بالإرادة[2]، وكذلك الأمر، وهي إرادة[3] إحداثه خبراً عما يتناوله[4].

وقد قلنا في أصول الفقه: إن الأمر إنما يكون أمراً بإرادة[5] من المأمور به فقط[6]، وماعداها من الإرادات يحتاج إليه[7] لا ليكون أمراً، لأن إرادة

---

(١) ـ يعني من كونه قسماً أو نفياً أو إثباتاً.

(٢) ـ في (ج): بإرادة.

(٣) ـ في (هـ): إرادته.

(٤) ـ في (ج): على مايتناوله.

(٥) ـ في (ج): بالإرادة.

(٦) ـ يعني أن صيغة افعل لاتكون أمراً إلا بإرادة المأمور به، ولايكفي إرادة إحداث الأمر، يؤيده قوله بعد ذلك: لأن إرادة إحداث الأمر مما يشارك فيه غيره من الأفعال.

(٧) ـ يعني أنما عدا إرادة المأمور به يحتاج إليه في بابه كإرادته إحداث أمر، أو إرادة تهديد بصيغة افعل مثل: ﴿اعملوا ماشئتم﴾ ونحو ذلك.

إحداث الأمر مما يشارك الأمرُ فيه غيرَه من الأفعال، ثم إرادة[1] كونه أمراً لمن هو أمر له مما يشارك الأمرُ فيه النهيَ، فليس الذي قلناه مخالفاً لماحكيناه[2].

ومن ذلك: وجبت الشمس، ووجب الجدار. ووجب الحق، أي: وَقَعَ وحَقَّ، وانتفت الشبهة بحقيقة المشاهدة، التي هي أجلا وأولى.

وقوله: (المدرِك): الذي أدرك الحَدَّ الذي يتبين به عن سواه، وله في الفقه ثلاث علامات، ليس هاهنا موضع ذكر عللها، وهي في شرح أصول الفقه مذكورة، ليس في الكلام لها معنى يدخل، وإنما هو مدرك وقت تلزم فيه الأحكام، وهي كلمة لغوية، وهي وقت الصلاح والشبيبة[3]، ولذلك قيل: أَدْرَكَت الثمرة، إذا صلحت.

(على): من حروف الصفات.

(في بلاد الكفر وغيرها) .

(في): من حروف الجر.

(والبلاد): جمع بلد وهو المِصْر الذي يعمل فيه أهله، والكلام راجع على

---

(١) - في (هـ): وإرادة.

(٢) - يعني فليس الذي قلنا من أن الاستخبار داخل في الأمر مخالفاً لماحكينا في أصول الفقه من أن الأمر إنما يكون أمراً بالإرادة.

(٣) - في النسخ: وقت الصلاة والسببية، ولعل الصواب ما أثبته.

أهل المِصْر، وقد يطلق الكلام على المجاز في اللغة جماداً كان أو حيواناً على المجاز[1].

وأرض الكفر هي أرض الشرك الظاهر فيها، وأرض الإسلام هي أرضه الظاهر فيها، ولاثالث يعلم عقلا، لظهور الأحكام هنالك، والأرض واحدة على الجملة.

وقوله: (وغيرها) هي ماخالف حكمها حكم ماسواها، فاقتضى التغايرَ حكماً.

(أن ينظر إلى هذه الأعاجيب) .

لم يقل عليه السلام: يجب عليه ــ أولاً ــ أن يريد النظر[2]، لأن النظر لايكون إلا بإرادة من الناظر، وذلك يودي إلى مالايتناهى[3]، والنظر هو المراد، لأن حقيقة المريد أن يختص بحال؛ لاختصاصه بها يصح أن يقع منه الفعل، على بعض الوجوه.

واعلم أن الإرادة لاتصح أن تتعلق على طريق التفصيل إلا بمراد واحد، ولايصح أن يقال إنها تعلقت بمرادين، أحدهما المراد، والثاني نفسها، لأن

---

(١) ـ يعني أن الخطاب الموجه إلى البلاد يعني به أهلها وقد يوجه الكلام على وجه المجاز إلى الجماد مثل: ﴿واسأل القرية﴾ أو إلى الحيوان مثل: ﴿واسأل العير﴾.

(٢) ـ في النسخ: أول أن يريد النظر. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) ـ يعني قبل أن ينظر يريد النظر وقبل أن يريد النظر يريد إرادة النظر وهكذا.

هذا يستحيل فيها، وكذلك القول في الكراهة.

والنظر، هو: التَّفَكُّر في الأدلة الذي يقع عليه الثواب والعقاب[1]، على تقسيم في النَّظر من جهة[2] اللغة، فمنه: المشاهدة للأجسام، ومنه الانتظار، ومنه التَّفَكر، وهو الذي يَعْتَمِدُ عليه في هذا الباب أهلُ العدل والتوحيد.

(إلى) من حروف الجر والصفات.

(هذه): إشارة إلى شَخْصٍ موجودٍ مُدْرَكٍ محدودٍ.

(الأعاجيب): جمع لشيء يَعْجَب منه المتفكر في الخلق العجيب والصنعةِ المحكمة المتقنة، لمن تفكر ونظر نظراً صحيحاً، ولايلزم في ذلك قول من زعم أن الناظر طالب لشيء لم يحصل[3]، وهذا يستحيل في هذا الباب.

ثم قال: **(المختلفات، المدركات بالحواس، من السماء والأرض، ومابث فيهما من الحيوان، المجتلبة إلى أنفسها المنافع، النافرة عن المضار، أنها محدثة لظهور الإحداث فيها)** .

يشتمل هذا الكلام على أن الجسم لايخلو من الأكوان، وهي أعراض

---

(١) - في (ج): التي يقع عليها الثواب والعقاب.

(٢) - في (هـ، ض): من طريق.

(٣) - لأن النظر إنما يكتشف تلك الأعاجيب التي لاتعرف إلا بالنظر.

يوجد عليها، لا بقاء لها كالأجسام، فمنها: الألوان، والروائح[1]، والتأليف، والرطوبات، والاعتقادات، والقُدَر، والعجز، والكلام، والشهوات، والنفور، والحرارات، والبرودات، والفناء، والحياة، والموت، والاعتمادات[2]، والشبع، والجوع، والعطش، والرّي، والبشر، والشهوة، ترجع إلى القادرين، وبعضها من فعل رب العالمين، بل به يقال، وكذلك للمتعلمين، ليعرفوا هذه الأحوال، ويتيقنوها في الاعتقاد والمقال، فرقاً بين الأجسام والأعراض، وَحدُّهَا أنها تَعْرِضُ في الوجود، ولايجب لها من الحكم في اللبث مايجب للأجسام، ولايصح أن تنتفي من الجسم مع وجوده. والكلام في هذا الباب يتعلق بالأسماء دون المعاني، فاقتضى أن نسهل فيه.

وجملة مايجب أن نُحَصِّل في ذلك أن الأعراض ثلاثة أضرب فمنها: مايختص المحل، ومنها مايختص بالحي[3]، ومنها ماينافي المَحَالّ، ولاتتعلق بحي ولامحل، ذكر أنها تختلف في أنفسها، وتدرك في أُسّها بالحواس، خلافاً لبعض أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم من العوام.

وكان الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عباد يقول: إذا اختلط الأسود بالأبيض رئي كأنه أغبر.

---

(١) ـ في (هـ، ض): الأرايح.

(٢) ـ الاعتماد كالثقل والخفة.

(٣) ـ في (ج): مايخص الحي.

قال أبو هاشم[1]: إن الجسم الأسود لو خالف غيره لمافيه من السواد، وفي غيره من البياض، لوجب - إذا صار هو أبيض بعد كونه أسود - أن يخالف نفسه، ولو وجب إذاً اتفقا في اللون واختلفا في الطعم أن يكونا متفقين مختلفين وذلك فاسد.

والذي قاله عليه السلام أشهر في المشاهدة، وأبين لمن ترك طريق المعاندة.

وقوله: (المجتلبة إلى أنفسها المنافع، النافرة عن المضار): يعني الحيوانات، وظهور الإحْدَاث هو عجيب الصنعة في الحيوان، ومايطرأ عليه وعلى الجماد من الزيادة والنقصان، وهل ينظر الناظر إلى الشيء وهو عالم به أو جاهل له، وإنما يولد له النظرَ العلمُ بأحوال المنظور ونفي الجهل به، وبصانعه القدير، ولابد أن يكون المكلف عالماً بما كُلِّف على جملة أو تفصيل، ليميزه الله عن غيره، وإلا لم يحسن تكليفه، فصار تعريفه بما كلف بمنزلة الإقدار عليه، والتمكين منه، في أنه لابد منه، وإلا قبح التكليف، ولا يخلو من وجهين: إما أن يضطره أو يدله عليه، فلابد من حصول أحد الوجهين أو كليهما في كل ما نراه حسناً، وقد علمنا باضطرار أن الظلم قبيح، وكُلِّفنا بالامتناع منه، وأن شكر النعمة واجب، وردّ الوديعة كمثل[2]، وكلفنا الإقدام عليها،

---

(١) - أبو هاشم: هو عبدالسلام بن محمد بن سَلاَّم أبو هاشم الجبائي المعتزلي، من مشاهير المتكلمين وأئمة الاعتزال، ولد سنة (٢٤٦ هـ)، وله تصانيف ومقالات في علم الكلام وإليه تنتسب البهشمية من المعتزلية، توفي سنة (٣٢١ هـ). الملل والنحل للإمام المهدي ٩٤، الطبقة التاسعة.

(٢) - كذا في النسخ. ولعل المراد: ورد الوديعة مثله.

وعرفنا مالنا من الفضل بالأخبار، فدلنا على[1] فعله.

فأما ما عرفناه بالاستدلال مما يتعلق بفعل ما كلفناه بتفصيل كثير مما ذكرنا جملته، وسائر الشرائع، وما يعلم قبحه وحسنه ووجوبه من جهة العقل والشرع وتفصيل ذلك يكثر، وما أوردناه من الجملة يكفي فيه محصول الأدلة والبيان، مما يمكن المكلف عند التفكر فيه أن يتوصل به إلى المعرفة بما دخل تحتها التكليف.

واللطف من الله واجب لابد منه؛ لأنه تعالى إذا قَصَد بالتكليف تعريض المكلف للثواب، وعلم أنه لايتعرض الموصول إليه إلا عند أمر لولاه كان لايتعرض، فلو لم يفعله لنقص ذلك الغَرَض الذي له كَلَّف، كما أن أحدنا لو كان غرضه من زيد إذا دعاه إلى طعامه أن يحضر فيأكل طعامه، أنه لايختار ذلك إلا عند اللطف في المسألة، فلو لم يفعله لنقص ذلك الغرض الذي دعاه إلى طعامه، ويخل بإخلاله بذلك محل أن يمنعه من نفس تناول الطعام، وكذلك لو لم يفعل تعالى اللطف الذي ذكرنا، بمنزلة أن لايمكن العبد مما كلفه في قبح التكليف.

وبهذه الجملة أبطل قول الدهرية[2] والملحدة الذين يضيفون صنع هذه العجائب إلى الطبع، وإلى الكوكب، وثبت أن فاعلا لهذه الأعاجيب قادر

---

(١) - في (هـ، ض): إلى فعله.

(٢) - الدهرية: جماعة من الملاحدة يعتقدون قدم العالم وقدم الدهر وتدبيره للعالم وتأثيره فيه وأنه ما أبى الدهر من شيء أحدث شيئاً آخر. الحور العين ١٩٥، الملل والنحل للإمام المهدي ١٧.

قديم، واحد عالم لايشبهها.

واعلم أن الملحدة والدهرية على فرقتين: فرقة نفت الصانع نفياً محضاً ولم تثبت للعالم رباً، وقد حكى الله تعالى قول هذه الفرقة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ..﴾ الآية [الجاثية:٢٤] .

وفرقة ثانية أثبتت الصانع، وزعمت أنه فاعل فيما لم يزل، وأن العالم ظَهر منه كظهور ضياء الشمس من الشمس، وحَرٌّ النار من النار، وهذا هو المحكي عن قوم من الفلاسفة، والدلائل التي قدمناها[1] تبطل هذا كله.

(معرفة بالعجز على أنفسها، أنها لم تصنع أنفسها، ولم تشاهد صنعتها، وتعجز أن تصنع مثلها، وتعجز أن تصنع ضدها) .

اعترافها بالعجز هو: شهاداتها على أنفسها أنها تعجز عن تحسين ما استقبحت من صُوَرِها، ولاتمتنع عن الزيادة والنقصان في أنفسها، ولاتملك لها ضراً ولانفعاً في جميع أمورها، ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً، فثبت أن صانعها غَيْرٌ لها متقدم عليها، وكيف شاهد صَنْعتَه معدومٌ؟ هذا مالا تختلج فيه الوهوم، ومن عجز عن تحسين ما قبح منه عنده كيف يصنع مثله أو ضده، تشهد بذلك العقول.

---

(١) - في (هـ، ض): قد بيناها.

(فلما شهدت العقول على أن هذا هكذا، ثبت أن لها مدبراً حكيماً دبرها، ومعتمداً اعتمدها، وقاصداً قصدها، ليس له شبيه ولامثيل) .

تعالى من أوجد في المكلفين عقولا تشهد له بالأزلية، عند من استشهدها من البرية، فلما صحت مَفْعُولَه، اُسْتُدِل بها على[1] فاعلها، ومتى عُلِم الشيء استغني عن الدلالة عليه، وعِلْم العقول بالصانع من جهة الصنعة في حكمتها وتدبيرها وتصويرها، واعتمادها، وقصدها، تشهد بحكيم مُقَدِّر، وقديم مُدَبِّر، قصدها واعتمدها، لاتشبهه ولايشبهها، كمارأينا في الشاهد أن كل صانع لايشبه صَنْعَته، ولا الكاتب كتابته، وقد ثبت أن العالم كالبيت، أرض وسماء، وسقف مرفوع[2]، ومهاد موضوع، النجوم في السماء كالقناديل في السقف، والنيرات كالشمعتين، والأرض كقرار البيت والفراش الممهود، ومافيها من النبات كالفواكه المعدة، وما فيها من الرياحين وأنواع الأنوار والزهرات، وأماكنها من الأرض كالروضة من البيت[3]، وما فيها[4] من معادن الذهب والفضة كالخزائن المخزونة في البيت، والإنسان فيها كأرباب البيوت الذين إليهم تدبيرها وسياستها، فيجب أن يكون حال السماء والأرض في الحدوث واستحالة القدم، كالبيت الذي يُشَاهَد في مفازة أو برية إن لم نشاهد له فاعلا ولابانياً في أنا لانشُك في حدوثه، وتجدده، وكونه مبنياً بنيان قادر.

---

(١) ـ سقط من (هـ): على.

(٢) ـ سقط من (هـ): مرفوع.

(٣) ـ في (هـ): النبت.

(٤) ـ في (ج): ومافيها الأرض. وهو غلط.

وحدوث الحركات الفلكية بَيِّنٌ لأنه[1] لابد لها من أول، وما كان له أول فله آخر، ويستحيل أن تكون له أزلية، ومتى استحال قِدَم الحركات، استحال قِدَم المُتَحَرِّكات؛ لأنه لاجسم إلا متحرك أو ساكن، وحقيقة التحرك هو الانتقال من جهة إلى جهة، وهذا لايكون إلا متجدداً حادثاً، وحقيقة الساكن لبثه - لا للنفس - مع جواز انتقاله من موضعه، وقد نبه القرآن على ذلك، قال الله سبحانه: ﴿أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوْجٍ﴾ [ق: ٦] . ضربنا للمتعلم هذا مثلا لِيُقَرِّب إلى فهمه معرفة حدوث العالم، وكررنا بهذا القول[2] على البراهمة[3] في نفي الرسالة.

ومن هيأ دعوةً في بيت بناه - وهو حكيم - أليس يَبُثُّ دعاته إلى حضور مأدبته وسنبين الكلام عليهم في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى.

فإذا ثبت حدوث السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض بما ذكرنا من الأدلة، وجب أن يكون لها محدث قديم، قادر، لأن الكتابة يستحيل حدوثها من غير كاتب حي قادر، يتولى كتابة ذلك، فيجب مثل ذلك في حدوث العالم.

---

(١) - سقط من (هـ، ض): لأنه.

(٢) - في (هـ، ض): بهذا الكلام.

(٣) - البراهمية: منسوبون إلى برهرام من ملوك الفرس وهم من أهل الهند يعترفون بالله ويجحدون بالرسل وهم فرق ذكرهم الإمام المهدي في الملل والنحل ٨٠.

(**إذ المِثْل جائز عليه ماجاز على مثله، من الانتقال والزوال[1]، والعجز، والزيادة، والنقصان**).

وقد تقدم شرح هذه الجملة فلامعنى لإعادتها.

(**وأن بإحداثه إياها له المِنّة عليها**) بالبقاء[2]، وكيف لاتكون المنة للمالك على المملوك، وقد شاهدنا ذلك في السُّوقة[3] والملوك، أعظم المِنَن خَلْقُ الإنسان بشراً سوياً، ورزْقُه إياه بكرة وعشياً، وتعريضه للثواب العظيم الجسيم، وتحذيره من العذاب الأليم، بعد إزاحة العلة والسلامة، وتردد الدواعي[4] والاستقامة، ولطف من الله سبحانه بنصب الأدلة؛ لأن الغرض بالأدلة الوصول بها إلى المعارف.

واعلم أن في زيادة[5] الأدلة ما يَجُوز أن يكون لطفاً لمن قد استدل، دون من لم يستدل و لم يعرف، من حيث يُعْلم من حاله أن تأثيره إنما يكون فيه دون العارض عن الأدلة[6]، فهذا بمنزلة ما عرفناه من حال العَالِم العارف، أنه

---

(١) - سقط من (هـ، ض): الزوال.

(٢) - سقط من (هـ): بالبقاء.

(٣) - السُّوقة بالضم : الرعية .

(٤) - في (هـ): الدعاوي.

(٥) - في (ج، ض): زيادات.

(٦) - كذا في النسخ.

يتمكن من أن يعرف عند ذلك من الشُّبه وحلها[1]، والأسئلة وجوابها، وما يكون مؤكداً لدلالتها التي استدل بها، ما يجوز أن يعرفه غيره، وعند ذلك متى فَكَّر فيما ذكرنا زاد ذلك في بصيرته، والشرح لصدره، من حيث ثبت في العلوم أن بعضها يتعلق ببعض، ولذلك نجد العَالِم المُبَرِّز أعلم بالمسألة الواحدة من غيره، وإن كان ذلك الغير قد عرفها، من حيث علم هذا من سائر ما يتصل بها، ويتعلق علمها به مالا يعرفها ذاك، وهذا ظاهر.

فإذا صحت هذه الجملة لم يمتنع أن يخص تعالى المؤمن المهتدي بهذا الوجه من اللطف، لأنه لايصح كونه لطفاً إلا له دون غيره، ولايوجب ذلك أن يكون تعالى مانعاً غيره من التمكين، أو من فعل ما كلف.

واعلم أنه قد يدخل في هذا الباب ما يورده تعالى على المكلف من الخواطر والتنبيه.

(إذ كانت الرغبة منها في البقاء، ونفورها عن الفناء دالةً على المنة[2] عليها ببقائها).

هذا الكلام راجع إلى الحيوان العاقل المكلف، ولايدخل فيه النافر من الحيوان غير المكلف، لعلة نذكرها في مجموع نكت هذا الكتاب وعيونه

---

(١) - في (ج): لامن الشبه وحلها.

(٢) - في (هـ): الممتن.

المستخرجة في غيره، لغرض أفردناه نذكره فيما بعد إن شاء الله، لأن الرغبة في البقاء لاتكون إلا مع كمال[1] النعماء، وهي خلقة الله للعبد حياً لينفعه[2]، والمنفعة الحسنة إذا قصد[3] فاعلها وجه الإحسان فهي نعمة، منها مايكون لذة أو مؤدياً إلى لذة، وربما كان سروراً أو مؤدياً إلى سرور، وربما كان دفعاً لمضار وغموم أو مؤدياً إليها، وربما كان تمكيناً من هذه الأمور، وربما كان مصححاً لها، فجميع ذلك يدخل في باب النعم، وكذلك الآلات، والقُدَر، والعقل، تعد نِعماً؛ لأنها تُمَكِّن من النعم، وكذلك يعد التكليف نعمة؛ لأنه يُمَكِّن من النعم العظيمة، ولذلك تُعد الحياةُ والشهوةُ نعمةً؛ لأنهما يصححان التنعم، ولذلك يعد المأكول وغيره من المدركات، نعمة لأنها لذة ومتَلَذَّذ بها، فجميع أنواع النعم لاتخرج عما ذكرنا، وإنما شرطنا أن تكون منفعة؛ لأن ما خرج عنه لايكون من النعم، لأنه إذا كان قبيحاً أو مضرة[4] إذاً كان من فعل العباد، والنظر في هذه الأسباب[5] واجب على الجملة.

وإنما قال عليه السلام: إن النظر واجب على الناظر في معرفة الله تعالى، ولو لم يعلم وجوبها عليه قبل أن يفعلها؛ لأنه لو علم وجوبها عليه لكان قد

---

(١) - في (هـ، ض): مع بقاء.

(٢) - في النسخ: بعد قوله: حياً لنفعه: قيد بالقول حياً لينفعه. ولعلها حاشية أدرجها الناسخ في الأصل.

(٣) - في (هـ، ض): إذا قصد بها وجه الإحسان.

(٤) - في (هـ، ض): ومضرة.

(٥) - في (هـ، ض): هذه الأشياء.

علمها، والعلم بالمعرفة نقيض[1] لماهي معرفة له، فكان يعود الحال في النظر إلى أنه يجب على من قد عرف الله تعالى نقيض[2] سقوط وجوب النظر؛ لأن الغرض بوجوبه أن يوصل به إلى هذه المعرفة بإيجاب النظر.

فإن قيل: أليس من قولكم إنه تعالى لايجوز أن يكلف فعلا إلا والمكلف يميزه من غيره، وإلا اقتضى التلبيسَ، وإذا لم يصح ذلك في المعرفة، فهلا قلتم فيها: إنها ضرورة، أو قلتم فيها: إنها واقعة بالطبع، أو قلتم: إن العبد لايقدر عليها، كما قاله من خالفكم في هذا الباب.

قيل له: قد ثبت أن الواحد منا يقدر عليه، وعلى المعرفة من حيث تقع بحسب أحواله، فكما يجب كون الحركات فعله، فكذلك النظر؛ ولأنه إذا قدر على الجهل والاعتقاد المبتدأ فيجب أن يقدر على المعرفة؛ لأنها الاعتقاد إذا وقع على وجه، والنظر يولد المعرفة، ويثبت أن القادر على السبب قادر على المسبب، وفي هذا كلام.

وكذلك النفور من الحي القادر كما قلنا أولاً عن الفناء، والفناء هنا كلمة مجاز عند أهل العدل والتوحيد، دالة على الممتن عليها ببقائها، وكذلك البقاء مجاز لاعلى الحقيقة، دلت على الممتن عليها أوضح دلالة، وأرجح مقالة، وإن كانت غيرَ ناطقةٍ بذلك، بل الحكمة فيها تشهد، والنعمة التي عليها تتجدد، ترى وتوجد.

---

(١) - في (ج): يقتضي.

(٢) - في (ج): يقتضي.

(وأن الممتن عليها ببقائها هو المنعم عليها بإحداثه إياها) .

كما قد شرطنا أن خلقه تعالى للمكلف حياً لينفعه، وبينا وجه المنافع، أنه نَعَّمَهُ لِيُوصِلَهُ بذلك إلى سني[1] النعم، ويجنبه عن محذور النقم، جل الله تعالى العالِمُ بمصالح عبيده، والقائم بأسباب وعده ووعيده.

(فإذا علم البالغ المدرك أن هذا هكذا، وجب عليه أن يشكر المنعم، فإذا علم أن شكر المنعم عليه واجب، كان عليه أن يشكر المنعم عليه، وشكر المنعم عليه هو الطاعةُ له) .

وقد بين عليه السلام أن شكر المنعم هو الطاعة له، وهذه جملة لاتخرج عن ثلاثة وجوه، وهي: اعتقاد، وقول، وفعل، مع الإصابة والاجتهاد.

والاعتقاد : من أفعال القلوب، وهو مقدم على سائر الأفعال، وليس يعترض على ذلك قولُ من يزعم[2] أن النية غير العقد، فإنه يحتاج للعقد إلى نية[3]، وذلك محال عندنا، وهو مأخوذ من: عقدت ونويت في اللغة اصطلاحاً، وله في الكتاب مسرحٌ[4]، وفي اللغة مساغٌ، لأن بالعقول تدرك غوامضُ العلوم، وحقائقُ الأشياء، والمجتهد في ذلك مصيب.

---

(١) ـ السني: المرتفع المنزلة والقدر عند الله سبحانه.

(٢) ـ في (هـ): من زعم.

(٣) ـ في (ج): وأنه لايحتاج للعقد إلى نية.

(٤) ـ في (هـ): شرح. ولعله يريد بالكتاب هنا القرآن. والله أعلم.

وقد قيل: إن الحق عند الله في واحد، من أخطـأه هلـك. وفي الاجتهـادين إذا اختلفا كلام ليس هذا موضعه، وإنما غرضنا شرح ما قاله يحيى بن الحسين عليه السلام، في هذا الكتاب مذهباً وتعليلا، ولايلزم قول من قال: إن الشكر على الشكر واجب.

وقد قال البستي[1] في ذلك:

إذا كان شُكْرِي نِعْمَـةَ الله نعمـةً ... عَلَيَّ بهـا في مثلِهَا يجـبُ الشُّكْرُ

فكيف بلـوغَ الشـكرِ إلا بفضلـه ... وإن طالتِ الأيامُ واتَّصَـل العُمْـرُ

وشُكْرُ الله على أربعة أوجـه: بـالقلب، واللسـان، والجـوارح، تشـترك في ذلك باجتناب المعاصي وأداء الفرائض[2]، والفاسق لايكون شاكراً.

وروي عن بعض الصالحين أنه سئل عن الشكر فقال: « الا تستعين بنعمـة من نعمهِ على معاصيه ».

---

(١) - البستي: هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف أبو الفتح البستي، شاعر عصره وكاتبـه، كـان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، ثم أخرج من بلده وتوفي غريباً سنة (٤٠٠ هـ) ببغـداد، له ديوان شعر، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها:

زيادة المرء في دنيـاه نقصــان ... وربحه غير محض الخير خسران

انظر عنه الأعلام ٣٢٦/٤، يتيمة الدهر ٣٤٥/٤.

(٢) - يعني يشترك القلب واللسان والجوارح في الشكر باجتناب المعـاصي وأداء الفرائـض، و لم يذكـر الوجه الرابع، ولعله هذا.

[حاشية بخط اليد:] لعل قوله: (والجوارح) ليس عطفاً على بالقلب، بل هو استئناف، أي والجوارحُ تشترك في ذلك - أي الشكر - أولاً: باجتناب المعاصي، وهو الوجه الثالث، وثانياً: بأداء الفرائض، وهو الوجه الرابع. فجملة (تشترك) خبر عن (الجوارح) والفاعل عائد إليه فقط. اهـ وإنما قلنا بهذا: لأن الشارح قال (وشكر الله على أربعة أوجه).

فمن واجبات القلوب تعظيمُ الله، وذلك على قواعد مختلفة، ومعنى التعظيم أن تُشْعِر القلبَ أن يكون اللهُ أعظمَ عندك من كل شيء، وعلى حسب الأمور الموجبة للتعظيم، حتى يملأ القلب، فمن موجبات التعظيم: صفات الله تعالى العظمى وأسماؤه الحسنى، مثل كونه تعالى الأول لا أول لوجوده، وكل موجود[1] مفتقر إلى قدرته، ولولا قدرته[2] لم يوجد موجود؛ لأن كل موجود إما أن يكون من فعله تعالى، أو من فعل عبيده. وكذلك[3] كونه قادراً لذاته[4]، على ما تقدم ذكره. ومن الأمور الموجبة للتعظيم التفكر في أفعاله، وضروب خلقه، ولهذا أمر الله تعالى عباده بالتفكر، مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] إلى غير ذلك من الآيات.

وروي عن المسيح عليه السلام أنه سئل فقيل له: ياروح الله من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون؟ فقال: «الذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها».

وهذا إنما يكون بالتفكر في حقائق الأمور، والنظر في أدلة الله تعالى التي ركبها في العقول، وبعث بها الأنبياء والرسل.

---

(١) - في (هـ، ض): وكل شيء.

(٢) - في (هـ، ض): وكل شيء مفتقر إلى قدرته ولولا وجوده.

(٣) - يعني ومن موجبات التعظيم.

(٤) - في (ج) بعد قوله: قادراً لذاته: على كل شيء ولا قادر إلا وهو عنده، وكذلك كونه عالماً. وهو في (ض) عليه علامات الخدش وهو أنسب.

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن في جسد ابن آدم بضعة إذا صَلَحَت صَلَح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد، ألا وهي القلب »[1].

وروي عن أبي الزبير[2]، عن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « قِوام المرء عقله، ولادين لمن لاعقل له، ولاعقل لمن لادين له »[3]. يعني: لمن لم يعرف مقتضى العقول في الديانات.

وروى الزهري[4] عن جميع بن حارثة الأنصاري، عن عمه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إنما يُدْرَك الخيرُ كله بالعقل، ولادين لمن لاعقل له »[5].

وروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ـ أخرج نحوه مسلم (١٥٩٩)، وابن ماجة (٣٩٨٤)، والطيالسي (٧٨٨)، وأحمد ٢٧٤/٤، والدارمي ٢٤٥/٢ عن النعمان بن بشير، وفيها (مضغة) بدل (بضعة).

(٢) ـ أبو الزبير هو: محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي من كبار المحدثين، توفي سنة (١٢٦ هـ). تقريب التهذيب ٢٠٧/٢.

(٣) ـ أخرجه ابن عدي ٩٦٧/٣ عن أبي الزبير به، ورواه ابن حجر في المطالب العالية ١٥/٣ (٢٧٤٧) وعزاه إلى مسند الحارث بن أبي أسامة وذكر أنه من كتاب العقل لداود بن المحبر المعتزلي، وضعفه. وقد أشار المؤلف إلى أنه يروي هذه الأحاديث من طرق من يثق به من مشائخه.

(٤) ـ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، من كبار المحدثين، اتهمه غير واحد من أصحابنا، توفي سنة (١٢٤ هـ).

(٥) ـ لم أقف عليه. و لم أعرف جميع بن حارثة الأنصاري، ولا عمه.

وسلم: « ماتم دين إنسان قط حتى يتم عقله »[1].

وروى زيد بن أسلم[2]، عن أبيه[3]، عن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ما اكتسب أحد قط مثل فضل العقل، يهدي صاحبه إلى هدًى، ويرده عن ردى، وما تم إيمان رجل ولا استقام[4] دينه حتى يكمل عقله »[5].

وروى نافع[6]، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لاتعجبوا بإسلام امرء حتى تعرفوا كنه عقله »[7].

وروى معاوية بن قرة[8] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « الناس يعملون ويعطون أجورهم على قدر عقولهم »[9].

---

(١) ـ عزاه في موسوعة الأطراف ٩٠٨ إلى تاريخ أصفهان ٢١٢/١.

(٢) ـ زيد بن أسلم الفقيه العمري، من علماء التابعين، توفي سنة (١٣٦ هـ). الكاشف ٢٣٦/١.

(٣) ـ أسلم مولى عمر بن الخطاب، قيل: إنه حبشي، وهو صحابي، توفي سنة (٨٠ هـ) الكاشف ٦٨/١.

(٤) ـ في (هـ، ض): وما استقام دينه.

(٥) ـ أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية ٢١/٣ (٢٧٦٥).

(٦) ـ نافع مولى عبدالله بن عمر أبو عبدالله الفقيه، من أئمة التابعين وأعلامهم، توفي سنة (١١٧ هـ). تهذيب الكمال ٢٩٨/٢٩، معجم رجال الأذان بحي على خير العمل.

(٧) ـ لم أقف عليه.

(٨) ـ معاوية بن قرة بن إياس أبو إياس المزني البصري، من علماء التابعين، توفي سنة (١١٣ هـ) الكاشف ١٤٠/٣.

(٩) ـ أورده ابن حجر في المطالب ١٢/٣ ـ ١٣ (٢٧٤١) وقال: فيه ضعيف.

وروي عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن الرجل يكون من أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج، ومايجزى به يوم القيامة إلا بقدر عقله »[1] .

وروى الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين »[2] .

فهذه الأخبار كلها تدل على أن الدرجة العظمى والمنزلة الكبرى في الدين والتقوى للعلماء العارفين[3]، الذين يعرفون الحقائق، ويعملون بها ولايبلغ العاقل درجة العقلاء في الدين إلا بمعرفة واجبات القلوب على التحقيق، ومعرفة أحكام الله تعالى في كل فعل وترك، والعلم بما يفعل كيف يفعل وعلى أي وجه يفعل، وما يَتْرُك كيف يترك؟ وعلى أي وجه يترك؟ ومتى يكون العبد معظماً لله تعالى، خائفاً من عقابه وراجياً لثوابه؟

كما قال عليه السلام: **(وفي ذلك إيجاب الثواب والعقاب، ويعرف مراتب التوبة)**. ومتى يَعْظُم الندم ويقوى العزم، وهذا لايتم إلا بمعرفة من

---

(١) - أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١٢٥/٢، وابن حبان في المجروحين ٤٠/٣ من طريق عبيدالله بن عمر عن نافع به.

(٢) - أخرجه الطبراني في الكبير ٣٠٣/١٢ من طريق محمد بن زيد عن سالم به، وأورده الهيثمي في المجمع ٢٦٨/١٠ وضعفه.

(٣) - في (هـ، ض): العاقلين.

العقليات والشرعيات، وما يرجع إلى هذين الفنين.

واعلم أنه دعانا إلى ذكر هذه الأخبار بنقل العامة ـ وإن كان قد نقلها عندنا من نثق به من أئمتنا عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومشائخ أهل العدل والتوحيد ـ إنكارُ فقهائهم حجج العقول، والرجوع إليها في متشابه القرآن والأخبار، مثل داود الأصبهاني[1] ـ حيث يقول: بُلْ على العقل والعقول ـ ومن تابعه من الحشوية، وقد قال فيه ابن دريد[2] ـ إلا أن كانت النسخة أعجمية، لم تثبت الأبيات[3] ـ:

قال داود ذو الرقاعة والجهل بأن العقول ليست بحجة

ولعمري لعقله ذلك الـ عقل فما أن يصاب فيه محجة

ثم أصحابه يعومون عوماً في ضلال وفي عمى وسط لجه

وعلى هذا طائفة من أصحاب الحديث وعوام المتفقهة، ينكرون الاستدلال بالأدلة العقلية، فأراد الله تعالى بإنزال هذه الآية أن يكشف لنا عن حاجتنا

---

(١) ـ داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري أبو سليمان، لقب بالظاهري لأخذه بظواهر الكتاب والسنة، وإعراضه عن استخدام العقل، وإليه تنتسب الظاهرية، توفي سنة (٢٧٠ هـ).سير أعلام النبلاء ٣٣٣/٢، وفيات الأعيان ١٧٥/١.

(٢) ـ ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، وصاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة (٢٢٣ هـ) وتوفي ببغداد (٣٢١ هـ)، وكان مقرباً عند الأمراء. سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥، الأعلام ٨٠/٦.

(٣) ـ كذا في النسخ. و لم أتحقق من المراد مما بين العارضين.

إلى الفزع إلى العقل، ولهذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ..﴾ الآية [الحج: ١] ، على أن المراد به العقلاء دون المجانين؛ لأن العقل دل على أن المجنون لايكون مكلفاً، إن كان الحكم الذي يدل عليه الظاهر حكماً شرعياً عرف به المراد باستدلال شرعي، من قياس، أو إجماع، أو خبر وارد، وكذلك حكم الخبرين والقياسين إذا تنافيا في الحكم الشرعي؛ عرف المراد منهما بضرب من الاستدلال، فإن تساويا من الوجوه كلها جاز ذلك عندنا[1]، وكان العالِم مخيراً يأخذ أيهما شاء.

ولهذا قال بعض مشائخنا بالتخيير بين المسح للرجل، واستيعابها غَسلا، وذهب إلى جميع ذلك الناصر للحق عليه السلام[2]. وبين إفراد الإقامة وبين تثنيتها. وبين رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وتسكينهما. وذهب الهادي عليه

---

(١) - يعني جاز استوائها في الوجوه كلها.

(٢) - الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بـ(الأطروش، والناصر الكبير، والناصر للحق)، أحد أئمة الزيدية وعظماء الإسلام، كان عالماً مجتهداً زاهداً ورعاً شجاعاً أديباً عظيم القدر، ولد سنة (٢٣٠ هـ)، ونشأ في طلب العلم، حتى قرأ من الكتب السماوية بضع عشر كتاباً، وقام في أرض الديلم سنة (٢٨٤ هـ) يدعو إلى الله عشرين سنة ودخل طبرستان سنة (٣٠١ هـ)، وأسلم على يديه ألف ألف مابين رجل وامرأة، وتوفي بآمل في (٢٥ شعبان سنة ٣٠٤ عن ٧٤ سنة). قال الطبري: لم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق. انظر: الحدائق الوردية ــ خ ــ، الشافي ٣٠٨/١، شهداء الفضيلة ١ ــ ٦، التحف ٧٠، تاريخ الطبري حوادث سنة ٤٠٣، عمدة الطالب ٣٧٥، الفلك الدوار ٣٨.

السلام إلى تسكينهما. وبين الجهر ببسم ا الله الرحمن الرحيم والمخافتة. ولايُخَطأ من فَعَل بأحدهما.

وقد جمع بعض أصحابنا بين المسح والغسل، وبين الرفع والتسكين، بأن يرفع يديه ثم يرسلهما، ثم يلحق التكبيرة بعد أن يرسلهما.

ولايجوز إذا كان الحكم عقلياً التخيير، ومن أصول الدين(1) في التوحيد والعدل، ولابد من أن يكون المراد أحدهما ويجب الرجوع إلى ما فى العقل، وربما كان دليلٌ موجبٌ العلم من أدلة الشرعِ كالإجماع، وما شاكله، في أن المراد أحدهما(2).

وقد ذكرنا فيما تقدم أن التكليف على أربعة أضرب، ولم نستوف الكلام فيه وهذا موضع استيفاء بسطه للمتعلم، والورع المتفهم.

فمن ذلك التكليف(3) في فعل شيء يجب فعله، وهذا على ثلاثة أقسام: قد يكون من أفعال القلوب مثل العلم بالله(4) تعالى، وبأنبيائه، وسائر أصول الدين. وكالعلم بما يحتاج المكلف إليه من الفرائض والسنن. وقد يكون من أفعال اللسان كإظهار الشهادتين، فإن إظهارهما واجب، والتفوه بهما فَرْضٌ مرة واحدة، وما زاد على ذلك لايلزم ولايجب، إلا عند خوف الاتهام في

---

(1) - يعني إذا كان الحكم من أصول الدين.

(2) - يعني أحد المتعارضين.

(3) - في (هـ): فمن ذلك تكليف.

(4) - في (ج): مثل وجوب العلم با لله تعالى.

الشبهة عند من يقول بوجوبه[1]. وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد يجب باللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شروط تحصل، نذكرها:

أول شيء: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فُرُوض الكفايات، وفروض الكفايات هو الذي إذا قام به واحد سقط عن الباقين، مثل الصلاة على الميت ودفنه، وسَدِّ الثُّغُور، والجهاد، وصلاة العيدين ـ عند جماعة من الفقهاء ـ، وتعلم الفقه للفتيا، والجلوس لتعليم الناس معالم الدين.

وهما[2] واجبان على قدر الطاقة، إذا كان المعروف المتروك فرضاً، فإن كان نفلا كان الأمر به نفلا. وكل من رأى منكراً يرتكب، أو فرضاً يترك، وجب عليه أن يكره ذلك بقلبه كراهة شديدة، ويظهر ذلك من نفسه إن لم يكن معلوماً منه، ويأمر تارك الفرض بالقيام به، ومرتكب القبيح بالانتهاء عنه، فإن لم يتم المراد بالملاينة، وإلا خاشنه، فإن تم بالمخاشنة، وإلا أخذ بالنهي عنه فعلا.

وشروطه: أن يعلم أن المتروك فرض، وليس من مسائل الاجتهاد التي يختلف الفقهاء فيها، وأن يعلم أن المُرْتَكَب قبيح، وليس من مسائل الاجتهاد.

---

(١) - يعني بوجوب دفع التهمة.

(٢) - أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنها: أن يعلم أن لنهيه تأثيراً أويغلبَ في ظنه.

ومنها: أن يعلم أن نهيه لايؤدي إلى فساد أكثر مما اُرْتُكِب.

والدليل على وجوبه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالـمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الـمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الـمُفْلِحُوْنَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿كَانُوْا لاَيَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوْا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خبر مشهور: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإنكار »[1].

وليس على من رأى مجتهداً يعمل بمسألة من مسائل الاجتهاد أن ينكر عليه في ذلك.

(فلما تصرمت أعمار المطيعين ولم يثابوا، وتَقَضَّت[2] آجال العاصين ولم يعاقبوا).

---

(١) - أخرجه مسلم (٦٩)، والترمذي (٣١٧٣)، والنسائي ١١١/٨، وأحمد ٢٠/٣ عن أبي سعيد، وفيه: وذلك أضعف الإيمان.

(٢) - في (هـ، ض): انقطعت.

(تصرمت): انقطعت أعمارهم، هذا[1] مأخوذ من التَّعْمِير والعمارة، والمعنى: وقعت الفرقة بين الروح والجسد إلى الوقت الذي يوافي الله بينهما، وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] ، وقد روي في ذلك أخبار ليس هذا موضع ذكرها.

(أعمار المطيعين): هم الذين عملوا بطاعة الله عز وجل، اعتقاداً، وقولا، وفعلا، على ما شرطنا من قبل[2]، حتى جاءهم الموت وهم على ذلك مستقيمون.

وقد روى المؤيد بالله[3] رحمة الله عليه، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة » [4]. ولابد على هذا أن يكون للاعتقاد أجر، وللأفعال أجر من جنس

---

(١) - في (ج): وهو.

(٢) - يعني من قوله مع الإصابة الاجتهاد.

(٣) - المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، من أئمة الإسلام وعلماء الزيدية الأعلام، وصاحب التصانيف المفيدة والأنظار السديدة، ولد بآمل سنة (٣٣٣ هـ)، ونشأ على العلم والصلاح، ثم قام بأمر الأمة سنة (٣٨٠ هـ) . وبويع له بالديلم وكان غزير العلم واسع الرواية، توفي بآمل سنة (٤٢١ هـ). انظر ترجمته في مقدمة الأمالي الصغرى المطبوعة بتحقيق الأخ الأستاذ عبدالسلام عباس الوجيه، الفلك الدوار ٦٣.

(٤) - عزاه في النوافح العطرة ٤٠٠ (٢٢٧٠) إلى أحمد والحاكم وابي داود عن معاذ. وأخرج نحوه محمد بن منصور في الذكر (٣٣١ و ٣٣٢)، والمرشد بالله في الخميسية ٢٩/١، وأحمد والبزار

قول: لاإله إلا الله[1].

(و لم يثابوا): الثواب هو الجزاء على الفعل الحسن، وهو الإيمان، وهو اسم لجميع الواجبات والطاعات، يعبر به عن ذلك وإن اختلف المطيعون لله بأحوالهم، وهو يزيد وينقص، من حيث كانت الواجبات تزيد وتنقص.

فإن قيل: أفيجوز أن يبلغَ ثوابُ بعضِ المطيعين أن يكون مكفراً لعقاب بعض الكبائر؟

قيل له: قد ورد الشرع[2] بما يدل على أن ذلك لايصح، من حيث علق به تعالى الحدَ، على وجه الجزاء والنكال، فلم يخص مكلفاً من مكلف، وكان يجوز من جهة العقل خلاف ذلك، ولو عُمِّرَ العمر الطويل لقد كان يجوز في ثوابه أن يزيد على قدر عقاب هذه الكبيرة، لكنه قد ثبت بما ذكرنا أنه تعالى لايبقي أحد من هذا القَدْر من المدة[3]، وهذا كما نقول: إن المؤمن لو عمر عمراً طويلا لبلغ قدر ثوابه قدر ثواب الأنبياء صلوات الله عليهم لكن الدلالة قد دلت على خلاف ذلك من حاله.

-

كما في مجمع الزوائد ٢/٣٢٤ عن حذيفة.

(١) - يعني أن قول: لاإله إلا الله لها أجر وفعلا لها أجر.

(٢) - في (هـ، ض): ورد السمع.

(٣) - في (هـ): لايقي أحد من هذا القدر من المدة. كذا ، ولعل المراد: أن العقل يجوز أن مرتكب الكبيرة لو عمر عمراً طويلا يعمل فيه الطاعات لزاد ثوابه على مقدار عقاب الكبيرة. وهذا على مبدأ الموازنة.

(وتقضت[1] آجال العاصين ولم يعاقبوا)، العقاب: هو جزاء على فعل المعصية[2]، وهو القبيح، وهو اسم لترك الواجبات واستباحة المحظورات، وإن اختلف العصاة في أحوالهم قولا وفعلا.

فإن قيل: أفيجوز أن يدخل العاصي النار بذنب واحد يختم به عملا صالحاً، ويكون ذلك منه مع انقطاع العمر والخروج من الدنيا للموت، وإن عمل أعمال المؤمنين قبل هذا الذنب الواحد في عمره؟

اعلم أن شيوخ العدل اختلفوا في عقاب الكفار والعصاة، هل يجب من طريق الحِكْمَة، أم لا؟ فعند شيوخنا أن ذلك لايحسن ولايجب، بل يجوز من الله سبحانه أن يغفر، لأن الغفران حقه، وهذا قبل ورود الشرع، فأما [3] الآن فقد استقر الشرع. وقد أجمع المسلمون على تعذيب أهل الكبائر، وتخليدهم في النار، واختلفوا في الفساق.

وأما عند الهادي عليه السلام فلا خلاف بين من يروي عنه من اليحيوية والقاسمية[4] في تخليدهم في النار، وإحباط أعمالهم بذنب واحد.

---

(١) - في (هـ، ض): انقطعت.

(٢) - في (هـ، ض): هو جزاء المعصية.

(٣) - في (هـ، ض): وأما.

(٤) - اليحيوية والقاسمية: جماعتان من الزيدية لاخلاف بينهما في أصل المذهب إلا أن إحداهما تهتم كثيراً بماروي عن القاسم بن إبراهيم. والأخرى بما روي عن الهادي (ع) وكان مركزهما الجيل والديلم.

وكان قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني[1] نفع الله بصالح عمله يرى رأي القاسم[2] ويحيى عليهما السلام في ذلك، ويقول: إن المعصية من حقها أن تعظم لعظم نعمة المَعْصِي، كما تَعْظُم حقوق الوالدين، إذا كانت نعمة عظيمة [3]، ولانعمة تكون أعظم من نعمة الله تعالى، فيجب عظم معصيته. وقال: إن المعصية والطاعة إذا تساويا فيجب أن يكون العقاب أعظم.

وقد قيل عن بعض من يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لاتنظر إلى صغر الذنب، وانظر إلى عظم من عصيت »[4].

---

(١) ـ قاضي القضاة: عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني أبو الحسين، شيخ المعتزلة في عصره ولد بالري ومات بها سنة (٤١٥ هـ)، وهو من مشاهير المتكلمين، له مؤلفات كثيرة في علم الكلام من أشهرها: المغني في باب التوحيد والعقل، أحد عشر جزءاً. الأعلام ٢٧٣/٣، تاريخ بغداد ١١٣/١١.

(٢) ـ الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد المعروف بالرسي نسبة إلى جبل الرس، وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة، ولد سنة (١٩٦ هـ). وهو أحد أئمة الإسلام والعلماء الأعلام، كان صاحب علم غزير، ومعرفة واسعة وفقه ورواية، وكان مناظراً شاعراً أديباً، دعا إلى الله بعد موت أخيه محمد، وله أخبار طوال توفي سنة (٢٤٦ هـ). انظر: الحدائق الوردية ـ خ ـ، الأعلام ٥/٦، التحف شرح الزلف ٤٩، الشافي ٢٦٢/١، الفلك الدوار ١٥.

(٣) ـ كذا في النسخ ويبدو أن الصواب إسقاط: إذا كانت نعمة عظيمة.

(٤) ـ عزاه في موسوعة الأطراف ٢٢٦/٧ إلى العلل المتناهية لابن الجوزي ٢٨٧/٢. وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية ٧٨/٦، وابن عدي في الكامل ٢١٧٧/٦ عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لاتنظروا في صغر الذنب ولكن انظروا على من اجترأتم» .

وقد يحسن ذم العاصي بالمعصية على الدَّوام، وإنما هذه المسألة تسأل عنها الملحدة، فأما من صدق بالرسل[1] فلا بد من أن يقر بما قلنا، والعقل قد دل على ذلك.

وطريق الحجة في تخليد الفساق في النار من الكتاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُوْدَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيْهَا﴾ [النساء: ١٤]، ولاحجة لمن قال: إن الفاسق لم يتعد كل الحد.

قوله: (وجب ـ على قَوَد التوحيد، واطِّراد الحكمة ـ أنَّ داراً غير هذه الدار يثاب فيها المطيعون، ويعاقب فيها المسيئون) .

(وجب): لزم. (على قَوَد التوحيد): حقيقة.

اختلف شيوخ العدل في خلق العالم وإقامة التكليف هل كان يجب ذلك من طريق الحكمة على الله، أم لا؟ فذهب شيوخنا رحمهم الله تعالى إلى أن ذلك كان حسناً في الحكمة، ولم يكن واجباً، وإنما يجب على الله تعالى ـ إذا أراد التكليف ـ إعطاءُ القُدْرَة، والآلة، والعقل، وإقامةُ الدلالة، والإثابةُ عند القيام بالطاعة[2].

وذهب بعض شيوخ العدل إلى أن التكليف وخلق العالم كان واجباً.

---

(١) ـ في (هـ، ض): الرسول.

(٢) ـ في (هـ، ض): المقام بالطاعة.

(واطراد الحكمة): استمرار العالم على ما هو عليه من عوائد وفوائد ومصالح بعضه في بعض، ومنافع بعضه من بعض، حكمة متقنة، وصنعة محكمة، لايعقلها إلا العالمون، سبحان من دلّنا به عليه، وعرّفنا إياه فيه، ولطف بنا حتى علمنا جميع معانيه بالعقل الذي أعطاناه، فاستعملناه على الوجه الذي أراده حتى قصدناه.

وقد ورد السمع بتحقيق دار غير هذه الدار، كان العقل قد حكم بها لمن أطاع ولم يُعْطَ أجره على الطاعة حتى فارق الدنيا، وهو منتظر للآخرة، وحكم بها لمن عصاه ولم يعاقب على ما استباح من حمى المحارم، وإغماض المظالم، وفارق الدنيا ولم يرز[1] في نفسه لأجل ذلك، وبيّن الله تعالى ذلك في الوعد والوعيد، ﴿وَسِيْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوْا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِيْنَ قِيْلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِيْنَ وَسِيْقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِيْنَ﴾ [الزمر: ٧٠ ـ ٧١]، وفي القرآن كثير من نظائر هاتين الآيتين، على حقيقة دار الآخرة، قوله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَيُظْلَمُوْنَ فَتِيْلاً﴾ [النساء: ٤٩].

---

(١) ـ أي لم تصبه رزية وهي السوء.

(وهذه أمور أوجبتها الفِطْرة، واسْتُحِقّت بالإيمان) .

الأولى أن يكون قال [الإمام الهادي] عليه السلام: أوجبتها الفِكْرة. لأن المتفكر في هذه الأمور لما نظر وتفكر علم أن هذا واجب على الله تعالى، وهو مذهبه عليه السلام.

ومعنى الفطرة هو ابتداع الأشياء الأولية، التي برأها الله أصولا للبرية، وقد يجيء على[1] هذا المعنى الفِطَر من الأصول لبعض الفروع، على مقتضى اللغة العربية. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة »[2] . وهو الأصل هاهنا الذي ركبه الله تعالى عليه من الطهارة.

(واستحقت بالإيمان) هذه التاء راجعة على دار الآخرة، التي استحق فيها المؤمن الجنة بعمله الصّالح، والإيمان هو ما ذكرنا أولا في هذا الفصل، فلا وجه لإعادة ذكره هاهنا.

(وقليلٌ من تقررت المعرفة في قلبه إلا باستقرارِ أولها، وشهادةِ بعضها على بعض، وتضمينِ كل شيء منها ما قبله وبعده، واستطرادُ ذلك كُلِّهُ في العقولِ) .

صدق عليه السلام، إن مَنْ تقررت المعرفة في قلبه قليلٌ، لأن المعرفة عند أهل النَّظر: سكون النفس إلى ما تعتقده وتعرفه لاعلى سبيل التّقليد ولا

---

(1) - سقط من (هـ، ض): على.

(2) - أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٥٩) باب ماقيل في أولاد المشركين. ومسلم (٢٦٥٨) في القدر، وأحمد ٢٨٢/٢، وابن حبان ٣٣٦/١ (١٢٨) عن أبي هريرة.

الضرورة، والمعلوم أن من شاهد جسماً اقتضت مشاهدته له العلم به، وبهيئته على ماهو به، فسكنت النفس إلى ذلك، وليس الظنُّ يوجب العلمَ، ولا الشكُّ ولا التقليدُ في المعقولات.

ثم استثنى عليه السلام: (إلا باستقرار أولها). (الهاء) راجعة على الأصول، لا على المعرفة، لأن الأصول يشهد بعضها على بعض في الحدوث، وكذلك (يتضمن كل شيء منها ما قبله وما بعده). يُرِيْد عليه السلام أنما لزم الفرعَ من الحَدَث، لزم الأصلَ مثله. ثم قال مبيناً لذلك ومنبها عليه: (واستطراد ذلك كله في العقول). لأن هذا في العقل مطردٌ أنما لزم الولدَ في الحُدُوث لزم الوالد، وكذلك الثَّمرة والورقة ما لزمها لزم أصل الشجرة في الزيادة والنقصان، قال ا لله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] ، عَادَةٌ أجراها الحكيم، وشهادةٌ أراناها الرحمن الرحيم، وأن الشيء يعرف بالمشاهدة إذا أُدْرك بالبصر، وغيره عُلِمَ على الوجه الذي هو عليه، ولولا ذلك ما عرف، فهذا طريق معرفة الشيء المشاهد.

وماكان يعرف اضطراراً فإن ذلك يكون عند سبب في القلب على وجه لايمكن دفع ذلك عن النفس، وقد يكون عند تقدم علم بأحوال المشاهدات، إما وصفٌ بالحدوث أوالقِدَم. والمعرفة: نور في قلوب العارفين.

أول الفصل الثاني في غير الأول[1].

---

(١) ـ كذا في النسخ.

(فَلَمَّا كان ذلك كذلك) .

يريد عليه السلام لما أن كـانت المعرفـة بـا لله لاتحصـل إلا مـن قِبَـل النَّظـر والاستدلال بالعالَم الـمُشَاهَد، ثم يقع التميز بالعقل، فهذا معنـى قولـه: فلمـا أن كان ذلك كذلك.

(كَانَ في ضرورة العقل أَلاَّ سبيل له إلى علم كيفية الطاعة دون الخبر من عند المنعم بكيفية الطاعة، إذ لايمكن الخبر من عند ا لله ملاقاةً لله) .

(كان في ضرورة العقـل): أي أن العقـلَ الـذي في العقـلاء مـن خلـق ا لله تعالى ابتداء، وبه كمـال النعمـاء كالشـمس والنـار والقمـر والنجـوم وسـائر الأنوار ـ حجةٌ من العزيز الجبار، ونعمة يتوصل بها إليه، ورحمـة يستدل بهـا عليه، يَسْتَصْبِحُ بنوره من ظلام الجهل مَن اسـتصبح، ويَسْتَفْتِحُ بـه بـاب كـل خَيْرٍ مَنِ استفتح.

واعلم أن العقل في اللغة مأخوذ من عِقَال البعـير، وقـد عَقَـل ا لله الإنسـان المكلف به من جميع القبائح التي كرهها له تعالى.

(أَلاَّ سـبيل لـه إلى علـم كيفيـة الطاعـة). أي لاطريـق إلى كيفيـة الطاعـة المشروعة الـتي لامدخـل للعقـل فيهـا، خلافـاً للباطنيـة ومـن نحـا نحوهـم مـن الملحدة، والبراهمة، والفلاسفة، والعقل يحكم بصحتهـا[1] علـى مانبينـه فيمـا

---

(١) ـ أي الشرعيات.

بعد إن شاء الله تعالى.

(دون الخبر من عند المنعم بكيفية الطاعة). وهذا رد على البراهمة، ومن لايرى الوسائط ولايقول بها، وينفي أن يكون الله تعالى أرسل رُسلاً إلى المكلفين، وأوضح لمن نظر وتفكر في الأدلة واعتبر، وهي: العقل، والكتاب، والرسول، وإجماع من إجماعه حجة عليه وعلى غيره. (إذ لايكون[1] الخبر من الله ملاقاة لله)، والعقل يمنع من ذلك، ولانُعَرِّض على ما يقوله كلام البراهمة في تجويز الخبر إلى الكل، ولنا في هذا عليهم حجة ليس هذا موضع ذكرها، لأنه لما ثبت أمر بشيء وجب على الآمر تبيينه للمأمور وإزاحة علته، ولايكون إلا بواحد مخصوص بأمر مخصوص، على صفة مخصوصة، ولو لم يكن كذلك لكان قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِي وَلاتَكْفُرُوْنْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ، يتناول مِن شُكْرِ الشاكر ما تفوه به، وإن خالف شكر غيره، لَمَّا منع العقل من المشافهة، وثبت أن لابد من إيصال خبر مخصوص، إلى واحد من جنس المأمورين به، لأن ذلك أقرب إلى التصديق، وأوجب على التحقيق من أن يكون صاحب الخبر من غير جنس الـمُخْبَر، ولايلزم على ذلك أن يقول المعترض: وما صَحَّ لجبريل وميكائيل وغيرهما من الملائكة عليهم السلام من الله في الخبر يصح لغيرهم من رُسُل الأمم، وقد بينا ذلك في كتاب (الرسالة).

---

(١) - في (هـ، ض): لايمكن.

(فإذا عَلِم أن الخبر لايمكن من الله مشافهة لله، عَلِم أن خبر الطاعة لايمكن إلا برسول من عند المنعم بائن من البشر في أعلامه وفعاله) .

الكلام في إثبات النبوة في هذا الفصل أولى من الكلام في خبر الطاعة المتصل إليه من عند المنعم ليثبت مراده تعالى، وكذلك الكلام في دلالة الصدق أين يضعها الحكيم، لأنه يقبح من الحكيم أن يضع دلالة الصدق على أيدي الكذابين، وأن يرسل رسالته مع المتهمين، وقد ثبت في العقل أن الشَّريعَة من: قول، وفعل، فرعٌ لاتصح إلا بعد معرفة الشارع، والخبر الذي يأتي به الرسول لايصح حتى يُعْلَمَ الرسول ويُعْرَفَ، ويتميزَ من غيره بصفة زائدة يَبِيْنُ بها عن الغير.

(فمن هاهنا لزم البالغ المدرك أن يعلم أن لله رسولاً لامِنْ قِبَل أخبار الناقلين) .

أن يعلم أن لله رسولا ليس بتواتر النَّقْل والأخبار، في قيام الرسول المختار، بل بالتحدي والدعاء، وإظهار المعجز حين أتى، والصبر على المحن والبلاء، وفراق الأقارب والأوطان، وشقاق الصاحب والإخوان.

(فلما لم يَجُزْ إلا بعثةُ الرسل، وكانت الرسل من البَشَر، وفي مثل تركيب المبعوث إليهم، وعباداً لله مثلَهم، لم يَجُزْ تصديقهم على الله إلا بدلالة بَيِّنَة، وحجة قاطعة، يعلم الخلق بعجزهم عنها، أنَّ الله تولى ذلك على أيديهم).

(فلما لم يجز). أي: لم يجب، لأن الجائز غير الواجب، وقد يعبر به عنه على تعارف اللغة في مجاز الكلام.

(إلا بعثة الرسل). على مابينا أولاً من أنه يجب على الله أن يبين لعباده مراده من الطاعة، وينصب عليها دليلا على لسان واحد من جماعة. وهو قوله عليه السلام: (وكانت الرسل من البشر، وفي مثل تركيب المبعوث إليهم)، لتكمل له بذلك الحجة، ويُبَيِّن لهم المحجة.

(وعباداً لله مثلهم). في الخلق والصورة، لئلا يقع التلبيس والشك، وتنتفي الشبهة عنهم بمن هو مثلهم ومنهم.

(ولم يجز تصديقهم على الله إلا بدلالة بينة، وحجة قاطعة[1] يعلم الخلق بعجزهم عنها أن الله تولى ذلك على أيديهم)، عجزوا عن الاتيان بمثل ما أتت به الرسل من عند الله، ووقفوا وقوف الحسير في المدرجة[2]، ولم يقم لهم والحمد لله على الرسل حجة.

---

(١) - في (ض): وحجة قاطعة وفي الكلام القديم وتأخيره. وفي (هـ): وحجة قاطعة ومن الكلام التقديم والتأخير. وفي (ج): وحجة قاطعة وفي الكلام تقديم وتأخير. ولعل ذلك سهو من الناسخ.

(٢) ـ لعل المراد والله أعلم: أنهم وقفوا وقوف الحير. أي الحاير عن المدرجة وهي معظم الطريق وسننه، أي أن الله لماتولى ذلك على أيدي الرسل وعجزوا عن الاتيان بمثله صاروا حايرين كالذي حارت عليه الطريق الواضحة الجلية فلم يهتد إليها، وكذلك هم لما عجزوا صاروا حائرين. والله أعلم. قد صحح على نسخة صحيحة. تمت من هامش (ج).

(فجاءت الرسـل بالآيات الـتي ليـس في قـوى الخلـق المجـيء بمثلهـا، فوجب تصديقهم على الله بعد الحجة والبينات) .

الآيات التي جاؤا بها مثل قلب العصا حيةً لموسى، وإحياء الموتـى، وإبـراء الأكمه والأبرص لعيسى صلوات الله عليهما. ومثل: تكثير المـاء لنبينـا محمـد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، ومثل حَنِينْ الجِـذْع، ومثـل تكثـير الطعـام اليسير حتى يشبع منه الجم الغفير والعدد الكثير، وغير ذلك مما لايسع كتابنـا شرح ذلك، من حديث مصارع أهل بدر، وحديث الاستسـقاء، مـع ادعائـه النبوة قبل إظهاره لهذه الأشياء، وقد اتفـق المسـلمون مـع اختـلاف مذاهبهـم وتباعد ديارهـم وتضليل بعضهم بعضاً على صحة ذلك.

فأجمعوا على أنه صلى الله عليه وآله وسلم وضـع يـده في ميضـأة[1] ففـار الماء من بين أصابعه (ص) حتى استقى منه وتوضأ ورووا منه جميعاً أيضاً[2].

وأنه كان يخطب إلى جنب جذع قبل أن ينصب المنبر، فلما نُصِبَ وتحـول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حَنَّ الجذع كما يحن الفصيـل، حتـى التزمـه النبي صلى الله عليه وآله وسلم[3].

ورووا أنه [صلى الله عليه وآله وسلم] يوم الخندق دُعِيَ إلى طعـام يسـير،

---

(١) - إناء يوضع فيه ماء الوضوء.

(٢) - ذكره المؤيد بالله ١٤٥، والمؤلف في الأمالي ٢٣ عن جابر.

(٣) - رواه القاضي عياض في الشفاء وقال السيوطي في تخريجه: أخرجه الدارمي وابن ماجة والبيهقـي والترمذي. انظر مناهل الصفا ١٢٦ (٥٨٧)، والمؤلف في الأمالي ١٩ عن علي.

فأكل منه الـجَمُّ الغفير، والعدد الكثير[1].

ومن معجز نبيئنا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن[2]، الذي لم تأت العرب بمثله حين تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، مع فصاحتهم وشدة معارضتهم له، وتكذيبهم واستخفافهم بحقه، فاستمر له ذلك مع كراهة العرب لما دعاهم إليه، وحِدَّة شوكتهم، وكثرة عددهم، وامتناعهم في مملكتهم، فلم يمنعه ذلك من تكرير القول عليهم، وفيهم الفصاحة والبلاغة وكانوا يَتَفَاخرون بها ويرونها من أشرف المناقب، وأفخم المآثر، فكفوا عن معارضته، وأمسكوا عن مجاوبته عجزاً، وكانوا حُرَّاصاً[3] على توهين أمره، وإطفاء نوره، وتكذيبه في دعواه، ولم يمكنهم أن يأتوا بسورة على فحواه؛ لأن ذلك كان أيسر عليهم من القتال، وسفك الدماء وأخذ الأموال، فتعذر الإتيان بمثل القرآن على كافة العرب، فوجب بهذا أن القرآن ليس منه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من إبداعه[4]، لأنه كان رجلاً من العرب يتكلم بلغتهم، ولايجوز أن يتكلم رجل بلغة أهل إقليم بما يبلغ ألف ورقة أو أقل من ذلك، ثم يعجز أهلُ الإقليم عن معارضته بقدر ورقة واحدة، وإنما يظهر فضل

---

(١) ـ أخرجه البخاري ٢٣٧/٥ (المغازي)، والمؤلف في الأمالي ٢٠ و ٢٢.

(٢) ـ للإمام المؤيد بالله أخي الإمام أبي طالب كتاب اسمه: إثبات نبوة النبي (ص)، معظمه في إيضاح أن القرآن هو المعجزة الخالدة لنبوة النبي (ص).

(٣) ـ في القاموس: الحِرص ـ بالكسر ـ: الجَشَع، وقد حَرَصَ كضرب، فهو حَرِيصٌ من حُرَّاسٍ وحُرَصَاء.

(٤) ـ في (هـ، ض): واتباعه.

الفاضل بالجمل دون التفاصيل، ألاترى أن من ليس في درجة امـرء القيـس[1] والنابغة[2] في الشعـر، ولا في درجـة قِسّ بـن ساعـدة[3]، ولاسُحْبَـان بـن وائل[4] في الفصاحة قد يتأتى منه فصول تشبه كـلام هـؤلاء، ويلتبـس علـى السامعين من العلماء حاله، حتى يظن أنه من كلامهم.

فثبت أن القرآن في نفسه آيـة معجـزة، ودلالـة غالبـه قـاهرة، وأن العـرب عجزت عنه؛ لأن في القرآن من الفصاحة مالايتـأتى مـن البشـر بلوغهـا، وأن الله تعالى صَرَف هممهم عن المعارضة، وقهر طبـائعهم ولـزم دواعيهـم عنـه، فهو دلالة كافية، ومعجزة شافية، ولهذا قـال الله تعـالى: ﴿أَوَ لَـمْ يَكْفِهِـمْ أَنَّـا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِـمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] ، وقـال تعـالى: ﴿قُـلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَـانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً﴾ [الإسراء: ٨٨] .

---

(١) ـ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي أشهر شعراء العرب، وهو يمـاني الأصـل، تـوفي قبـل الهجرة بنحو ثمانين سنة. الأعلام ٢/١١.

(٢) ـ النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني شاعر جـاهلي مـن الطبقـة الأولى وأصحاب المعلقات، قيل: إنه كان أحسن شعراء العرب ديباجة، توفي حـوالي ١٨ قبـل الهجـرة. الأعلام ٣/٥٤.

(٣) ـ قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من كبار حكماء العـرب وخطبـائهم، كـان مـن المعمرين أدركه النبي (ص) قبل النبوة، وسئل عنه بعد ذلك فقال: يحشر أمة وحده. توفي حـوالي ٢٣ قبل الهجرة. الأعلام ٥/١٩٦.

(٤) ـ سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في البيـان، اشتهر في الجاهليـة وأدرك الإسلام وأسلم زمن النبي و لم يلقه توفي سنة (٥٤ هـ).

فأكل منه الجَمُّ الغفير، والعدد الكثير[1].

ومن معجز نبيئنا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن[2]، الذي لم تأت العرب بمثله حين تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، مع فصاحتهم وشدة معارضتهم له، وتكذيبهم واستخفافهم بحقه، فاستمر له ذلك مع كراهة العرب لما دعاهم إليه، وحِدَّة شوكتهم، وكثرة عددهم، وامتناعهم في مملكتهم، فلم يمنعه ذلك من تكرير القول عليهم، وفيهم الفصاحة والبلاغة وكانوا يَتَفَاخرون بها ويرونها من أشرف المناقب، وأفخم المآثر، فكفوا عن معارضته، وأمسكوا عن مجاوبته عجزاً، وكانوا حُرَّاصاً[3] على توهين أمره، وإطفاء نوره، وتكذيبه في دعواه، ولم يمكنهم أن يأتوا بسورة على فحواه؛ لأن ذلك كان أيسر عليهم من القتال، وسفك الدماء وأخذ الأموال، فتعذر الإتيان بمثل القرآن على كافة العرب، فوجب بهذا أن القرآن ليس منه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من إبداعه[4]، لأنه كان رجلاً من العرب يتكلم بلغتهم، ولايجوز أن يتكلم رجل بلغة أهل إقليم بما يبلغ ألف ورقة أو أقل من ذلك، ثم يعجز أهلُ الإقليم عن معارضته بقدر ورقة واحدة، وإنما يظهر فضل

---

(١) - أخرجه البخاري ٥/٢٣٧ (المغازي)، والمؤلف في الأمالي ٢٠ و ٢٢.

(٢) - للإمام المؤيد بالله أخي الإمام أبي طالب كتاب اسمه: إثبات نبوة النبي (ص)، معظمه في إيضاح أن القرآن هو المعجزة الخالدة لنبوة النبي (ص).

(٣) - في القاموس: الحِرص - بالكسر -: الجَشَع، وقد حَرَصَ كضرب، فهو حَرِيصٌ من حُرَّاصٍ وحُرَصَاء.

(٤) - في (هـ، ض): واتباعه.

الفاضل بالجمل دون التفاصيل، ألاترى أن من ليس في درجة امـرء القيـس[1] والنابغـة[2] في الشعـر، ولا في درجـة قِـسّ بـن ساعـدة[3]، ولاسُحْبَـان بـن وائل[4] في الفصاحة قد يتأتى منه فصول تشبه كـلام هـؤلاء، ويلتبـس علـى السامعين من العلماء حاله، حتى يظن أنه من كلامهم.

فثبت أن القرآن في نفسه آيـة معجـزة، ودلالـة غالبـه قـاهرة، وأن العـرب عجزت عنه؛ لأن في القرآن من الفصاحة مالايتـأتى مـن البشـر بلوغهـا، وأن الله تعالى صَرَف هممهم عن المعارضة، وقهر طبـائعهم ولـزم دواعيهـم عنـه، فهو دلالة كافية، ومعجزة شافية، ولهذا قـال الله تعـالى: ﴿أَوَ لَـمْ يَكْفِهِـمْ أَنَّـا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِـمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] ، وقـال تعـالى: ﴿قُـلْ لَئِـنِ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوْا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَيَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَـانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً﴾ [الإسراء: ٨٨] .

---

(١) ـ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي أشهر شعراء العرب، وهو يمـاني الأصـل، تـوفي قبـل الهجرة بنحو ثمانين سنة. الأعلام ٢/١١.

(٢) ـ النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني شاعر جـاهلي مـن الطبقـة الأولى وأصحاب المعلقات، قيل: إنه كان أحسن شعراء العرب ديباجة، توفي حـوالي ١٨ قبـل الهجـرة. الأعلام ٣/٥٤.

(٣) ـ قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من كبار حكماء العـرب وخطبـائهم، كـان مـن المعمرين أدركه النبي (ص) قبل النبوة، وسئل عنه بعد ذلك فقال: يحشر أمة وحده. توفي حـوالي ٢٣ قبل الهجرة. الأعلام ٥/١٩٦.

(٤) ـ سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في البيـان، اشـتهر في الجاهليـة وأدرك الإسلام وأسلم زمن النبي و لم يلقه توفي سنة (٥٤ هـ).

وقد أتى النبي صلى ا لله عليه وآله وسلم بنقيض العادة، ولايكون الناقض للعادة إلا إلهياً سماوياً. والموهم للعادة لابد فيه من ثلاثة أشياء: من تَعَلّم علم النجوم والتاريخات، والشَّعْبَذة[1] وما جرى مجرى ذلك.

والثاني: إعداد الآلات لهذا الشأن، لأن أهل هذه الصناعة لايتأتى منهم إظهار أعجوبة إلا بآلة.

والثالث: المواطأة بينه وبين غيره.

وهذه الأشياء لايجوز أن يتعاطاها رجل ـ في عشرين سنة ـ ثم لايظهر شيء للناس، ولايوقف منه على جانب، فثبت أن النبي صلى ا لله عليه وآله وسلم لم يكن متعاطياً لهذا الجنس من هذه العلوم، ولامُعِداً لشيء من هذه الآلات، ولا مواطياً لغيره، وثبت أنما ظهر عليه لم يكن من جنس التمويه والشعبذة، وثبت أيضاً بما قد مضى أنه لابد من إظهار ما يكون حجة أو شبهة، فإذا بطل كون ما أظهر شبهة، لم يبق إلا أنه أظهر حجة ناقضة للعادة، وأنه عليه السلام كان صادقاً فيما ادعاه.

(فمن أدرك أزمنتهم، وشاهدهم في عصورهم، وقامت عليه حجتهم؛ لزمه الإقرار بهم، والتسليم لأمرهم، والقبول لماجاؤا به، والديانة لمادعوا إليه ، وسقط عنه كثير من الكُلْفَة في تمييز الأخبار[2] ، وامتحان الناقلين) .

---

(١) ـ الشعبذة هي الشعوذة، المشعوذ من يرى الشيء على غير أصله رأي العين.

(٢) ـ في (ض) : الأخيار. وهو تصحيف.

وقد صح عندنا وتواتر ذلك لدينا، أن قوماً صَدَّقوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به من عند الله، ممن أدرك زمانه، وشاهده في عصره، وقامت عليه حجته وسلموا لأمره، وقبلوا ودانوا لدعوته، وهاجروا معه، وهجروا الآباء والأولاد، وقوماً كذبوا ونصبوا له الحرب فحاربهم بمن تبعه، حتى استقاموا وأجابوا صاغرين، وندموا على ما كان منهم عندما انكشف لهم حال الدين، وجاهدوا في الله رب العالمين كُلَّ من طعن في دين المسلمين، وشاع الإسلام، واتسق النظام، وعرف الحلال والحرام، وذهب الاستقسام بالأزلام، وخَبَت حمية الجاهلية، وكانت كلمة الله هي العليا وكانت الكلفة في تمييز الأخبار مع نزول الوحي ساقطة، وامتحان الناقلين غير سائغ مع ظهور الواسطة.

(وبحسب ما قامت عليه الحجة كلفه الله الذَّبَّ عن دينه، والقيام بحجته).

وأي ذب ذبوا عن الدين، لما تيقنوا وعرفوا حجة رب العالمين، فجزاهم الله على ذلك عنا خيراً وأكمل لهم رحمة وأجراً، فلقد صبروا وآووا ونصروا، وأثنى الله عليهم في كتابه، وخصهم برحمته وثوابه، فهم المهاجرون والأنصار، والخلفاء والأوزار، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات النعيم.

(ومن تراخت به الأيام عن لقائهم، وكان في غير أعصارهم، كانت الحجة عليه في معرفتهم، والقبول لماجاؤا به، والديانة لما دعوا إليه؛ تواتر

الأخبار[1] التي في مثلها يمتنع الكـذب ولايتهيـأ بالاتفـاق، ويكـون سـامعها مضطراً في فطرته إلى أن ناقليها لايمكن مثلَهـم الكـذبُ، ولا التواطؤ على مقالة، كقوم مختلفي الأجناس، متبايني الديار، متقطعي الأسـباب، متفـاوتي اللقاء، متراخي الأزمنة، ينقلون خـبراً واحـداً متسـق النظـام، محروسـاً من الغلط، محصناً من الوهم) .

(من تراخت به الأيام عن لقائهم)، يعني: من امتدت به الأيام وهو مأخوذ من الرَّخاء، وكذلك يقال: عَيْش راخ أي ممدود واسع.

(وكان في غير أعصارهم)، الأعصار: جمع عَصْر، وهو وقت من الزمان.

(كانت الحجة عليه في معرفتهم)، معناه: أنه كان الواجب عليه أن يعرفهم من طريق العِلْم لا من طريق المشاهدة، وأن يقبل ماجاء به لا على جهـة التقليـد، ويدينَ الله بما دعوا إليه، والحجة في ذلك: (تواتر الأخبار التي في مثلهـا يمتنـع الكذب ولايتهيأ بالاتفاق) في مثلها الخبر إذا تواتر من ثقـة إلى ثقـة، لأنـا قـد قلنا فيما تقدم أن حكماً شرعياً عرف فيه المراد باستدلال شرعي من قياس أو إجماع أو خبر وارد، وكل خبر عُرِفَ المراد منه بضرب من الاسـتدلال قضـي بصحته في مسائل الفقه مع النظر[2]، فأما في الأصول فلايقبـل خـبر الواحـد، ولايُوجِب العِلْم، لأن الأصول هي ما شـهد لهـا العقـل الـذي هـو حجـة الله تعـالى العظمـى، ودلالتـه الكـبرى لايحتمـل التعـارض والنسـخ، والتـأويل،

---

(١) ـ في (ج): توالي الأخبار.

(٢) ـ في (ج): مع غلبة الظن.

والصرف من وجه إلى وجه، والاتساع، والمجاز.

وما اقتضاه سهل اللغة من خبر الواحد، وحكم به العقل مع النقل المتواتر صح قبوله والعمل به في الفروع دون[1] الأصول، فهذا الذي ذكره عليه السلام (يمتنع من الكذب ولايتهيأ بالاتفاق)، أي: هذا الخبر الذي لايصح على هذه الصفة، لو اتفق عليه جماعة لم يتهيأ على هذا الشرط الذي شرطناه في تواتر النقل.

(ويكون سامعها مضطراً في فطرته)، كامل العقل ممن لايُعرف منه السهو ولا الغلط، ضابطاً ورعاً عفيفاً متديناً[2]، ينقل الخَبَر على وجهه[3] عمن سمعه منه، يتحرى الزيادة والنقصان فيه.

(إلى أن ناقليها لايمكن مثلهم الكذب، ولا التواطؤ على مقالة)، يعني من أسند إليه من أخبره به ليصح سنده، ويدخل في نظام المسندين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4].

ثم شبههم عليه السلام بقوم (مختلفي الأجناس)، كعربي وعجمي، (متبايني الدار)، كأهل الشام واليمن، وغيرهما من الجهات، (متفاوتي

---

(١) - في هامش (ج): ينظر في لفظ (دون) مع أنه ثابتة في الأمهات ولكن المعنى لايستقيم فتأمل.
وفي هامش (ض): لعل لفظ (دون) سبق قلم.

(٢) - في الأم: مديناً.

(٣) - في (ض، هـ): وجه.

(٤) - كذا في النسخ.

اللقاء)، متفاوت لقاهم لبعد المسافة بينهم، ولكثرة الأخطار (متقطعي الأسباب)، ليس بينهم قرابة ولا جوار ولاصحابة، (متراخي الأزمنة)، امتد الزمان بينهم، فمتقدم ومتأخر، (ينقلون خبراً واحداً متسق النظام)، هو مَثَل ضَرَبَه بالخيط المنظوم به الخَرز، أي أن هذا الخبر متسق الرواة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإن لم يروه إلا واحد عن واحد على الشرط الذي شرطناه، (محروساً من الغلط)، لايغلط الراوي فيه، (محصناً من الوهم) غير متوهم فيه.

(ولعله يخرج في مال أحدهم وبدنه لايعارضهم فيه معارض بتكذيب، قد كاد ولما أن يكن عَيَاناً[1]) .

هذا الكلام فيه تقديم وتأخير، وترتيبه: قد كاد يخرج في مال أحدهم وبدنه لايعارضهم فيه معارض بتكذيب، ولعله أن يكون عياناً. هذا أولى في الكلام، وأبلغ في التمام، وأكثر اتساقاً عند النظام الذي أشار إليه هذا الإمام عليه السلام، لأن الراوي العدل يروي الخبر ولو خرج في نفسه وماله، وأشفى منه على الهلكة من الظالم، وهو قوله عليه السلام: قد كاد ولما أن يكون عياناً، لأن الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أقسام:

---

(١) - في (ج، هـ): ولما أن يكون عياناً. وفي (أ): بتكذيب قد كاد ولما أن يكون عياناً.

خبر متواتر من جهة اللفظ والمعنى، معلـوم منهمـا جميعـاً، وذلـك كالخـبر المروي في ركعتي الفجر في صلاة الفجر، وفي وجوب خمسة دراهم عند تمـام النصاب.

والقسم الثاني: متواتر من جهة اللفظ، والمعنـى مختلـف فيـه، كقولـه عليـه السلام: « من كنـت مـولاه فعلـي مـولاه » [1]، وقولـه صلـى الله عليـه وآلـه وسلم: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنـه لانبـي بعـدي » [2]، فلفـظ هذا الخبر منقول متواتر، ومعنـاه مختلـف فيـه، فهـذان القسـمان [3] يقبـلان في أصول الدين وفروعه، وهما كآية من القرآن في كونهما حجة، وإليهما أشار عليه السلام في جرح البدن والمال من الراوي.

والقسم الثالث من الأخبار: هو الخبر المستفيض وهو الظاهر عند كثير من

---

(١) ـ حديث الغدير معروف مشهور رواه الإمام الهادي في كتاب العدل والتوحيد ٦٩، وأبو طـالب في الأمالي ٣٣، وقال المقبلي في الأبحاث المسـددة ٢٤٤: عـزاه السـيوطي في الجـامع الكبـير إلى: أحمد، والحاكم، وابن أبي شيبة، والطبراني، وابن ماجة، وابن قانع، والترمذي، والنسـائي، وابـن أبي عاصم، والشيرازي، وأبي نعيم، وابن عقدة، وابن حبان، والخطيب. ثم قال المقبلي: نعم فإن كان مثل هذا معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم. وانظر لقط اللآلي المتناثرة في الأحـاديث المتواتـرة ٢٠٥. وقد عني السيد الأميني النجفي بتخريجه في كتابه الغدير وهو في إحدى عشر جزءاً.

(٢) ـ أخرج البخاري ٥/٩٩ و ٦/١٨، ومسلم ٤/١٨٧٠ (٢٤٠٤)، والترمذي ٥ رقـم (٣٧٣١)، ومحمد بن سليمان رقم (٤١٩)، وأبو طالب ٣٥ عن سعد بن أبي وقاص قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: « أنت مني بمنزلة هارون مـن موسـى إلا أنـه لانبي بعـدي » . ورواه الهادي في كتاب العدل والتوحيد ١٩ مرسلاً.

(٣) ـ في نسخة: فهذان قسمان.

الفقهاء.

والقسم الرابع: خبر الآحاد، فهذان القسمان يقبلان في الفقهيات والفروع، ولايقبلان في الأصول. والذي يدل على أنهما يقبلان في الفروع إجماع الصحابة على قبول خبر الواحد، كقبولهم خبر عبد الرحمن بن عوف في جزية المجوس[1]، وكقبول خبر أبي بكر في إعطاء الجدة السدس[2]، ما روي في ذلك. وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً نفعني الله بما شاء[3]، فإذا سمعته من غيره حَلَّفته فإن حلف صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر[4].

وكقبول خبر: حَمِل بن مالك في جنين المرأة[5]، وقبول هذا النوع ظاهر عندهم، فصار هذا أصلا في قبول خبر الواحد في الفروع،

(١) ـ وهو أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس، فقال: من عنده علم من المجوس ـ يعني في التعامل معهم ـ؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» . انظر: نصب الراية ٤٤٨/٣ ـ ٤٤٩.

(٢) ـ انظر الاعتصام ٢٩٣/٥.

(٣) ـ في (هـ، ض): نفعني الله به.

(٤) ـ أخرجه أحمد ١٠/١ عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي.

(٥) ـ وهو أن عمر بن الخطاب ناشد الناس في الجنين، فقام حمل بن مالك وقال: كنت بين امرأتين فضربت إحداهما الأخرى فقتلتها وجنينها فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغرة عبد أو أمة وأن تقتل بها. انظر: نصب الراية ٣٨٤/٤ وقال: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم.

ويدل على ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث السُّعاة والعمال إلى النواحي، ويأمرهم بأخذ الصدقات وسائر الحقوق.

ويدل عليه أيضاً خبر معاذ بن جبل حين بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والياً على[1] اليمن وقال له: « بم تقضي » ؟ قال: بكتاب الله. قال: « فإن لم تجد » ؟ قال: بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. قال: « فإن لم تجد » ؟ قال: أجتهد رأيي. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لماوفق له رسول الله »[2] . فدل هذا الخبر على مسائل من أصول الفقه، منها:

قبول خبر الواحد، لقول معاذ: أقضي بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدل ذلك على أنه إذا أخبر أهل اليمن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاز لهم قبولها.

ودل الخبر أيضاً على أن الاجتهاد والقياس جائز.

ودل أيضاً على أن الاجتهاد جائز في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولايجب عليه مراجعة النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) ـ في (هـ، ض): إلى اليمن.

(٢) ـ أخرجه الإمام علي بن بلال في شرح الأحكام ـ خ ـ، وأخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد ٢٣٠/٥، والدارمي ٦٠/١، ولمزيد من الكلام عليه انظر: التلخيص ١٨٢/٤، ونصب الراية ٦٣/٤.

وسلم طلباً للنص على المسألة.

ودل أيضاً على أن غلبة الظن له حكمٌ مع القدرة على العلم، لأن الغائب عنه عليه السلام إذا رجع إليه[1] ظفر بالنص الموجب للعلم، وجاز له مع ذلك أن يقتصر على الاجتهاد.

والذي يدل على أن هذا الجنس من الأخبار لايقبل في الأصول، وجوب اعتبار العلم فيما يتعلق بالأصل، وفساد اعتقاد الشيء مع تجويز خلافه، وخبر الواحد لايوجب العلم، وإنما يحصل عنده غلبة الظن، والذي يدل على الفرق بين الأصول والفروع - التي تتعلق بالعبادات والتحليل والتحريم - إجماع العلماء على قبول قول[2] الرسول إذا جاء بالهدية، وإن كانت جارية مملوكة، أو مالا عظيماً، وكان الرسول غير عدل، ولايحل مثل[3] هذا في الأصول.

(وقد تجيء بين ذلك أخبار بعضها مستحيل كونه في العقول، ويبعد أن يجيء بمثلها رسول، لما فيها من الكذب والزور، ولن تجيء[4] هذه الأخبار مجيء إجماع أبداً، وإنما سبيلها الشذوذ، والغلط في التأويل، وفي معرفة مخرج الخاص من العام، وفي معرفة المحكم من المتشابه).

---

(١) - في النسخ: إلى النبي (ص).

(٢) - سقط من (ض): قول.

(٣) - سقط من (ج): مثل.

(٤) - في (ج): وأن تجيء.

وقد ذكرنا شروط الصحيح من الأخبار، وأما المستحيل من الأخبار، فكمثل ماروت العامة من الأخبار المستحيلة في العقول كذباً وزوراً على الرسول.

قالت الحشوية: إن معبودهم في صورة شاب أمرد[1].

ومثل ماررووا أن الله تعالى أجرى الخيل فخلق نفسه من عرق الخيل[2].

ومثل ماررووا: رمدت عين الرب فعادته الملائكة[3].

فهذا الضرب من دسيس الملحدة ووضعهم، فإنهم كانوا يقصدون الإفساد على المسلمين بهذا الجنس.

وروي عن بعض الملحدة أن السلطان كان أمر بقتله، فقال: افعلوا ماشئتم فقد حَلّلت لكم الحرام، وحرمت عليكم الحلال، ودسست عليكم في أحاديثكم أربعة آلاف حديث.

وعلى هذا روي عن بعض كبار أصحاب الحديث أنه قال: نصف الأحاديث كذب.

وروي عن عمر أنه كان ينكر على أبي هريرة كثرة الروايات عن

---

(١) - أخرجه الطبراني في الكبير ١٤٣/٢٥، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن الجوزجاني في الموضوعات ١٢٥/١، ورغم طعن الحفاظ كالبخاري وابن حبان وابن حجر فيه فقد صححه الألباني. انظر: دفع شبه التشبيه ١٥٢.

(٢) - قال ابن عساكر: هذا حديث موضوع وضعه بعض الزنادقة. وذكره السيوطي في الموضوعات، وأشار إليه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٨).

(٣) - أشار إلى ذلك ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: لتتركن [1] الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لأنفينك إلى جبال دوس [2].

وفيما روي مثل الشاذ والغلط في تأويله أنه يجاء بجهنم من مكان إلى مكان، وأن الله على عرش، ويقولون العرش السرير [3].

ورووا أخباراً شاذة، في مثل ذلك، من المجيء، والنزول، والذهاب، والبعد، والافتراق، والاستواء، والنظر، وخروج ناس من النار، وقد صاروا فحماً وحمماً [4].

وهو كما قال عليه السلام: (سبيلها الشذوذ والغلط في التأويل).

(وفي معرفة مخرج الخاص من العام) ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أصحابي كالنجوم» [5].

---

(١) ـ في (هـ، ض): لَتُقِلَّنَّ.

(٢) ـ أورد هذا الكلام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٦٠٠ وعزاه المعلق إلى تاريخ أبي زرعة وتاريخ ابن عساكر وتاريخ ابن كثير. فراجعه.

(٣) ـ لمزيد من المعلومات راجع كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ١٢١ مع التعليقات عليه للعلامة الحسن بن علي السقاف .

(٤) ـ في (ج): لحماً وحمماً. وما أشار إليه المؤلف من الروايات قد استكمل الكلام عليه ابن الجوزي في كتابه القيم (دفع شبه التشبيه) وكذلك المعلق عليه السيد حسن السقاف.

(٥) ـ أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة وقال: موضوع. رواه ابن عبدالبر في جامع العلم ٩١/٢، وابن حزم في الأحكام ٨٢/٦ عن جابر، وقال ابن عبدالبر: هذا إسناد لاتقوم به حجة. وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »[1].

---

(١) ـ هذا الحديث ورد بألفاظ فيها بعض التفاوت فممن أخرجه وفيه لفظ : (وعترتي) الإمام زيد بن علي (ع) في المجموع ٤٠٤، والإمام علي بن موسى في الصحيفة ٤٦٤، والدولابي في الذرية الطاهرة ١٦٦ رقم (٢٢٨)، والبزار ٣/٨٩ رقم (٨٦٤) عن علي وأخرجه مسلم ١٥/١٧٩، والترمذي ٥/٦٢٢ رقم (٣٧٨٨)، وابن خزيمة ٤/٦٢ رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/٣٦٨ ـ ٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/٤١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/٣٦٩ (تهذيبه) ، والطبري في ذخائر العقبى ١٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٣٠، والطبراني في الكبير ٥/١٦٦ رقم (٤٩٦٩)، والنسائي في الخصائص ١٥٠ رقم (٢٧٦)، والدارمي ٢/٤٣١، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ٢٣٤، ٢٣٦، وأحمد في المسند ٤/٣٦٧، وابن الأثير في أسد الغابة ٢/١٢، والحاكم في المستدرك ٣/١٤٨ وصححه وأقره الذهبي، عن زيد بن أرقم.
وأخرجه عبد بن حميد ١٠٧ ـ ١٠٨ (المنتخب) ، وأحمد ٥/١٨٢ و ١٨٩، والطبراني في الكبير ٥/١٦٦، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٥٧ رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كنز العمال ١/١٨٦ رقم ٩٤٥ وعزاه إلى ابن حميد وابن الأنباري عن زيد بن ثابت.
وأخرجه أبو يعلى في المسند ٢/١٩٧ و ٣٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/١٧٧، والطبراني في الصغير ١/١٣١ و ١٣٥ و٢٢٦، وأحمد في المسند ٣/١٧، ٦/٢٦، وهو في كنز العمال ١/١٨٥ رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى الباوردي، ورقم (٩٤٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن سعد وأبي يعلى، عن أبي سعيد الخدري.
وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/٤٤٢، وهو في الكنز ١/١٨٩، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، عن حذيفة بن أسيد.
وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٢١ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كنز العمال ١/١١٧ رقم (٩٥١)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبدالله.

عموم يحتاج إلى تخصيص، وجملة تحتاج إلى تفسير[1]. « علي أقضاكم »[2] « أبي أقرؤكم »[3].. « أعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل »[4].. « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر الغفاري »[5]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « يد الله مع الجماعة »[6]، ومن هذا القبيل من الأخبار كثير لانأتي على شرحه في كتابنا هذا، ولانشرح تفصيل هذه الأخبار، لأنها مشروحة عند أهل العدل والتوحيد، بخلاف من حملها على ظاهرها واحتج[7] بها على مخالفه.

(فمن هذه الأخبار ما هو في أصله منسوخ، ومنها ما هو في مخرجه عام، وفي معناه خاص، ومنها متشابه يحتاج إلى بيان، ومنها ما حفظ أوله

---

(١) - في (ج): عموم يحتاج إلى تخصيص وجملة تحتاج إلى تفصيل.

(٢) - عزاه في الغدير ٩٦/٣ إلى ابن عبدالبر في الاستيعاب ٨/٣ بلفظ أقضاكم علي، وعزاه إلى مصابيح البغوي ٢٧٧/٢، والرياض النضرة ١٩٨/٢، ومناقب الخوارزمي ٥٠، وفتح الباري ١٣٦/٨ بلفظ: أقضى أمتي علي.

(٣) - أورده في كنز العمال رقم (٣٦٧٥٣) بلفظ: أقرؤكم أبي بن كعب.

(٤) - لم أقف عليه في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(٥) - أخرجه الترمذي رقم (٣٨٠١) و (٣٨٠٢)، وابن ماجة (١٩٦)، والحاكم ٣٤٢/٣ عن عبدالله بن عمرو، وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٨٧/٦ (٣٢٢٦٥) عن أبي الأسود الدؤلي، ووسع في تخريجه صاحب كتاب الغدير ٢٩٤/٨ ومابعدها.

(٦) - أخرجه الترمذي ٤٠٥/٤ (٢١٦٦) عن ابن عباس وقال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٧) - في (ج): فاحتج.

ونَسِيَ آخره، ومنها ما روي مرسلا بلاحجة فيه، ولا تبيان لمتدبر به) .

فبين عليه السلام أن الأخبار التي تحتاج إلى معرفة أحوالها وأحوال رواتها على ستة أوجه عنده (ع).

فالمنسوخ، مثل خبر شاة سودة بنت زمعة، حيث روت: « هلا انتفعتم بإهابها »[1].

وروى غيرها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قبل موته بشهر: « لاتنتفعوا من الميتة بشيء »[2]. ومثل هذا من الأخبار كثير.

ومنها ما هو في مخرجه عام وفي معناه خاص، مثل خبر أبي ذر[3] .

ومنها: متشابه يحتاج إلى بيان، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « لاتنتطح فيها عنزان »[4].

---

(١) ـ أخرجه مسلم ٤/٥٢ في الحيض، وعبدالرزاق ٦٣/١ رقم (١٨٨)، وأحمد ٣٣٦/٦، والحميدي ٢٢٩/١ رقم (٤٩١)، والنسائي ١٧٢/٧، والطحاوي ٤٦٩/١، والبيهقي ١٦/١ و ٢٣، وابن حبان ٩٩/٤، رقم (١٢٨٣)، والدار قطني ٤٤/١؛ والطبراني في الكبير ١٦٧/١١، رقم (١١٣٨٣) و (١١٣٨٤)، وأورده المؤيد بالله في شرح التجريد ـ خ ـ معلقاً عن ابن عباس.

(٢) ـ أورده المؤيد بالله في شرح التجريد ـ خ ـ معلقا عن جابر بن عبدالله، وكذلك أورده الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام، والأمير الحسين في الشفاء، والسيد صارم الدين في الفلك ٣٠٤.

(٣) ـ أي قوله (ص): « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر » وقد مر.

(٤) ـ الحديث أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩٩/١٣ وسببه أن امرأة هجت رسول الله (ص) فقتلها عمير بن عدي ثم جاء إلى رسول الله (ص) وأخبره فقال له رسول الله (ص): «أما إنه لاينتطح فيها عنزان » . قال عمير: فأصبحت فمررت ببنيها وهم يدفنونها فلم يعرض لي أحد ـ

« ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه »[1]، « من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية » [2]، « مـن سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » [3] .

وأما ما حُفِظَ أوله ونسي آخره فكثير، ولقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في غير موضع واحد عند تقريره على من خالفه: حفظتُ ونسيتم، « ألا وإن بَلِيَّتَكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه، والذي بعثه بالحق نبياً لتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً [4]، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ [5] سَوْطَ القِدْر [6]، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قَصَّروا، وليُقَصِّرَنَّ سابقون كانوا سبقوا ، والله ماكتمت

منهم. وقد صار هذا مثلا يضرب للأمر الذي لايدرك به ثأر. قال ابن الأثير: أي لايلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز. الأمثال النبوية ٢/١٢٥ (٤٣٩).

(١) ـ أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، والطيالسي (١١٦١)، والحاكم ١/١١٨، وأحمد ٤/١٣٠ و ١٨٠، وابن حبان ١٤ (٦٢٣٣) من حديث طويل عن الحارث الأشعري. والربقة: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام. قاله ابن الأثير.

(٢) ـ أخرجه أحمد كما في مجمع الزوائد ١/٣٢٤ عن عامر بن ربيعة، وله شواهد. انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/٤١٤ ـ ٤١٥.

(٣) ـ أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ٦ بسنده إلى عمر بن الخطاب. وأورده أيضاً بلفظ: من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ـ البلبلة: الاختلاط، وتبلبلنَّ: تختلطن.

(٥) ـ تساطن: من السوط وهو أن تجعل الشيئين في إناء وتضربها بيدك حتى يختلطا.

(٦) ـ سوط القدر: أي كما يختلط مافي القدر عند الغليان.

وشمة[1]، ولاكذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام قبل هذا اليوم »[2].

وأما المرسل[3] بغير حجة فهو ما قد ذكره أصحاب الحديث في كتبهم، وانتخبوا من الأحاديث، فيما قد كتبوه في كتابين[4] وسموها الصحيحين صحيح البخاري واسمه محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، والثاني صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ورفضا باقي الأخبار غير ما في كتابيهما[5] وسمياهما الصحيحين، وجعلاهما على الأبواب لا على التراجم.

---

(١) ـ الوشمة: الكلمة.

(٢) ـ نهج البلاغة الخطبة رقم (١٦) لمابويع في المدينة.

(٣) ـ يعني بالمرسل هنا: ما أرسل إلى النبي (ص) إرسال المسلمات.

(٤) ـ في (ج): فمما زعموا ماكتبوه في كتابين.

(٥) ـ ليس الإمام وحده القائل بأن البخاري ومسلماً عنيا بكتابيهما استيعاب الأحاديث الصحيحة، بل قد فهم ذلك أبو زرعة والدارقطني وغيرهما، وألف الدار قطني كتابه « الإلزامات والتتبع » على هذا الأساس، وقد تقرر عند سائر المحدثين أن البخاري ومسلماً لم يستوعبا الصحيح ولا ادعيا ذلك، قال زين الدين العراقي: لم يستوعب البخاري ومسلم كل الصحيح في كتابيهما ولم يلتزما ذلك، وإلزام الدار قطني وغيره إياهما بأحاديث ليس بلازم لعدم التزامهما. وقال الحاكم في مقدمة المستدرك: ولم يحكما ولا واحد منهما أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه. وقال البخاري نفسه: ماأدخلت في كتابي الجامع إلا ماصح وتركت من الصحاح لحال الطول. وقال مسلم: ليس كل صحيح وضعته هنا. ولمزيد من الكلام في هذه المسألة راجع توضيح الأفكار ٤٩/١ ومابعدها.

وقد اختلف في صحة كل مافي الصحيحين، فقال النووي في شرح صحيح مسلم مامعناه: أنه وقع خلاف بين الحفاظ في بعض أحاديث البخاري ومسلم فهي مستثناة من دعوى الإجماع على صحة حديثهما. انظر: توضيح الأفكار ٥٣/١.

والفرق عندهم بين الأبواب والتراجم أن التراجم شرطها أن يقول المصنف: ذكر ما روي عن فلان من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويترجم على هذا المسند فيقول: ذكر ما روى قيس بن أبي حازم عن فلان يعني أبا بكر، فحينئذ يلزمه أن يخرج كلما روي عن قيس عن أبي بكر صحيحاً كان أو سقيماً.

فأما تصنيف الأبواب عندهم، فإنه يقول: ذكر ما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أبواب الطهارة، والصلاة، أوغير ذلك من العبادات، فعلى شرطهم لايبلغ عدد الأحاديث على ذلك عشرة آلاف حديث، فكيف يقال: لايبلغ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة آلاف حديث، وقد رووا بالاتفاق أنه روي عنه الحديث من أصحابه أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفاً وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة، وبالمدينة بعد الهجرة، حفظوا عنه أقواله، وأفعاله، واجتهاده، وعبادته، وسيرته، ومغازيه، ومراحله، وخطبه، وملاعبته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهوده، ومواثيقه صلى الله عليه وآله وسلم، وألحاظه، وألفاظه، وصفاته.

فهذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه من العبادات والحلال والحرام، وتحاكموا فيه إليه، وقالوا: إنه كان يسير العَنَق، فإذا وجد فجوة نص، وأنه كان يَغُطّ إذا نام[1]، وأنه مازح صبياً فقال: ياعمير ما فعل

(١) - في (ج): وأنه كان يغط إذا نام وأنه عن دميل له. و لم أعرف المقصود بذلك.

النغير، ومازح عجوزاً فقال: إن الجنة لايدخلها عجوز، وأنه كـان صلـى ا لله عليه وآله وسلم يرفع الحسنين برجليه فيقول: حزقة حزقة ترق عين بقة، وأنه شرب وهو قائم، وأنه بال وهو قائم من جرح كان بمأبضه، وأخبار[1] كثـيرة من هذا النوع يطول شرحها.

(ومنها مادُلّس على الرواة في كتبهم).

ذكر عن الحاكم[2] أبي عبد ا لله أنه كان يحفظ خمسمائة ألف حديث.

وكان أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث.

ذكر عن أبي زرعة ستمائة ألف حديث.

رووا أن إسحاق بن راهويه يملي سبعين ألف حديث حفظاً.

وكان أبو العباس أحمد بن محمـد بـن سـعيد الحـافظ [ابـن عقـدة] يقـول: أحفظ لأهل البيت عليهم السلام ثلاثمائة ألف حديث.

فمن التدليس ما اشتهر به ما رفع عن محمد بن سـعيد[3]، عـن حميـد، عـن أنس أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم قال: « أنا خاتم الأنبياء لانـبيء

---

(١) - في (ج): في أخبار.

(٢) - في (هـ، ض): عن الحافظ.

(٣) - محمد بن سعيد بن أبي قيس المصلوب، أحد الكذابين، قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة.

بعدي إلا أن يشاء الله »[1]. فقالوا: وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى المتنبي، وقيل إنهما كانا شاعرين مشعبذين قتلهما خالد بن عبد الله القسري وأحرقهما بالنار.

أخبرني إسماعيل بن أحمد الجرجاني، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا عمار بن رجاء، عن سليمان بن حرب قال: دخلت على شيخ وهو يبكي، فقلت له: مايبكيك؟ قال[2]: وضعت أربعمائة حديث كذباً وجعلتهما في تاريخ الناس فلا أدري كيف أصنع.

ودخل غياث بن إبراهيم على المهدي، وكان يعجبه الحمام الطيار الذي يجيء من البعد، فقال: بعد أن أسند حديثاً يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لاسبق إلى في خُف، أو حافر، أو نصل، أو جناح » . وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما خرج قال المهدي: [أشهد أن قفاك قفا كذاب] [3].

ينظر من قوله (أخبرني)، فلعلها ليست من لفظ الراوي، يعني بها نفسه، بل هي من لفظ الحاكم أبي عبدالله صاحب معرفة علوم الحديث، والجرجاني شيخه، وكذا ينظر من قوله بعد: (قال أخبرنا محمد بن الزبير بن عبدالواحد)، ممن يقصد بقوله (قال)، هل هو الحاكم أبو عبدالله أم غيره؟ الظاهر الأول، وإن لم توجد قرينة في نصه، لأنه ممن روى عنه الحاكم، والرواية في كتبه بهذا السند، فتأمل في وجود سقط أو نحوه.

---

(١) ـ الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢٧٩/١ وقال: هذا الاستثناء موضوع وضعه محمد بن سعيد لما كان يدعو إليه من الإلحاد، شهد عليه بأنه وضعه جماعة من الأئمة منهم: أبو عبدالله الحاكم. وقدكان جماعة من أصحاب الحديث يدلسون هذا الرجل شرهاً في كثرة الرواية وبئسما فعلوا. قال عبدالله بن أحمد بن سوادة: قلب أهل الشام اسمه على مائة اسم وكذا وكذا اسم قد جمعها في كتاب. ثم ذكر ابن الجوزي ستة عشر وجهاً من تدليس هذا الإسم منها: محمد بن سعيد بن حسان، ومنها: محمد بن سعيد الأسدي، ومنها: محمد بن قيس، ومنها: محمد الطبري، ومنها: أبو قيس الشامي، ومنها: محمد بن زينب.

(٢) ـ في (هـ، ض): فقال.

(٣) ـ القصة ذكرها الذهبي في الميزان ٣٣٨/٣ ومابين المعكوفين منه.

قال أخبرنا الزبير بن عبد الواحد الحافظ، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الواحد البلدي، قال: سمعت جعفر بن محمد الطيالسي يقول: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيراً منقاره من ذهب، وريشه من مرجان.. »، وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: أنت حدثته بهذا، فقال: والله ماسمعت به إلا هذه الساعة، قال: فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه، وأخذ قطاعه، ويجعل[1] ينظر بقيتها، فأومى إليه يحيى أن تعال، فجاء متوهماً لنوال يحوزه، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل وماسمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: مازلت أسمع أن يحيى بن معين أحمق حتى هذه الساعة. قال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبته عن سبعة عشر رجلا أسماؤهم أحمد بن حنبل غير هذا، فوضع أحمد بن حنبل كمه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزيء بهما. ومثل هذا كثير ممن يتسما بالحديث.

---

(١) - في (هـ، ض): وقعد.

(فيالَلّه كيف حارت العقول).

روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قال ذلك حين ضُرِب: يالَلّه لِلمسلمين. وذكر مثله عن عمر بن الخطاب حين طعن: يالَلّه أنت للمسلمين. ولام الله مفتوحة، ولام المسلمين مكسورة، وهذا من الفصيح، كيف يعجب منه لَمَّا صح عنده هذا العلم[1] من روايات الأخبار، كيف حارت عقولهم بعد استمرارها على المحجة، رجعت إلى القهقرى ميلا إلى الدنيا وطمعاً بخيالها[2]، لما يزخرفونه من الكلام للعوام فالله المستعان.

(وقلدت الأتباعَ)

يعني قلد هؤلاء أهلَ هذه الأحاديث بعد علمهم بكذبهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن المقلدة بعد العلم مالك بن أنس[3]، فقيه أهل الحجاز بلا مدافعة، روى عن عبد الكريم البصري[4] وغيره ممن قد عرف عنده بالجرح.

ثم الشافعي أيضاً فقيه أهل الحجاز بعد مالك، روى عن إبراهيم بن محمد

---

(١) - في (هـ، ض): العمل.

(٢) - في (هـ، ض): بختالها.

(٣) - يعني بالتقليد هنا الأخذ، فيكون المراد: ممن روى عن ضعيف بعد علمه نضعفه مالك بن أنس.

(٤) - عبدالكريم بن أبي المخارق أبو أمية واسم أبيه قيس البصري المعلم. كذبه جماعة ووثقه آخرون، توفي سنة (١٢٧ هـ). الميزان ٢/٦٤٦، الفلك الدوار ٢٢٧.

بن يحيى الأسلمي[1]، وأبي داود سليمان بن عمرو النخعي[2]، وغيرهما، وهما من المجروحين عنده، وكذلك أبو حنيفة فقيه أهل الكوفة روى عن جابر بن يزيد الجعفي[3]، وأبي العطوف الجراح بن منهال الجزري[4]، وغيرهما من المجروحين عندهم.

ثم من بعده أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي[5]، وأبو عبدا لله محمد بن الحسن الشيباني[6] حدثا جميعاً عن الحسن بن عمارة[7]، وعبد الله بن

---

(١) ـ إبراهيم بن أبي يحيى أبو إسحاق المدني الأسلمي، سئل مالك عنه أكان ثقة في الحديث؟ قال: لا ولا في دينه. وقال القطان: كذاب. الميزان ١/٥٧، الفلك الدوار ٢٢٧.

(٢) ـ سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب، كذا قال الذهبي واتهمه غير واحد بالكذب. الميزان ٢/٢١٦.

(٣) ـ جابر بن يزيد الجعفي تكلم عليه بعض المحدثين بغير حجة وكان من خاصة الإمام محمد بن علي الباقر، توفي سنة (١٦٧ هـ). الميزان ١/٣٧٩.

(٤) ـ الجراح بن منهال أبو العطوف الجزري. قال ابن حبان: كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر، توفي سنة (١٦٧ هـ). الميزان ١/٣٩٠.

(٥) ـ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي فقيه أصولي على مذهب أبي حنيفة، توفي سنة (١٨٢ هـ)، تاريخ بغداد ١٤/٢٤٢.

(٦)ـ محمد بن الحسن الشيباني، علامة في الفقه والأصول على مذهب أبي حنيفة كان له موقف شجاع أمام الرشيد في شأن للإمام يحيى بن عبدا لله، توفي سنة (١٨٩ هـ). الفلك الدوار ٥٥، الشافي ١/٢٣٦.

(٧) ـ الحسن بن عمارة الكوفي الفقيه مولى بجيله ضعفه جماعة ووثقه آخرون، توفي سنة (١٥٣ هـ). الميزان ١/٥١٣.

المحزور، وغيرهما، [وهما] عندهم من المجروحين، وهل لرجل عالم أن يقلد رجلا قد عرفه بالجرأة وقلة الورع، هل هذا إلا من الهوى؟ كما قال عليه السلام.

(وتقسمت الأهواء)

أي ذهب كل[1] إلى ما يهوى، وفارق الجماعة على ما اشتهى، وسماه من تبعه من العوام إماماً، وكان مذهباً يذهب إليه من مال إليه تعصباً لأمور هذه الدنيا، ورفضاً لأهل الحق والأولياء.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة فإنها هي الناجية »[2]. وقد زيد في هذا الخبر ونقص منه. وقال قوم: « ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها ناجية إلا فرقة » واعتبروا أنه لايقال: أمة محمد ضالة في هوى. وقال قوم: من هي الناجية يا رسول الله؟ فقال: « ما أنا عليه وأصحابي ». ووقف قوم عن هذا الخبر و لم يصدقوه و لم يكذبوه[3].

---

(١) ـ في (هـ، ض): أي كل ذهب.

(٢) ـ اختلف في صحة هذا الحديث، وزيد فيه ونقص، قال الإمام وقال السيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير في العواصم ١٨٦/١: وإياك والاغترار بـ «كلها هالكة إلا واحدة» فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة لايؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة، وعن ابن حزم: إنها موضوعة غير موقوفة ولامرفوعة.

(٣) ـ في (ج): ولا يكذبوه.

وروى حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتكونوا إمعة تقولوا إذا أحسن الناس أحسنا وإذا أساء[1] الناس أسأنا»[2].

وقد بين عليه السلام فساد التقليد، ولابد للعاقل من أن يكون على مذهب يشهد له العقل والكتاب والسنة لينجوَ من تخاليط أهل الأهواء، وذلك ما ذهبت إليه شيعة المعتزلة ومعتزلة الشيعة، الذين تمسكوا بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

(وتفرقت الآراء)

وهذا لأهل الرأي لتفرقهم على أهوائهم بغير دليل وزعموا أن ذلك اجتهاد.

(ونُبِذَ القرآن)

حيث قال عز من قائل: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَتَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) - في (هـ، ض): أساؤا.

(٢) - أخرجه الترمذي ٤/٣٢٠ (٢٠٠٧) عن حذيفة، وفيه: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا.

(وغُيِّرت السُّنن)

غيرت أخبار رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم بكلام بدعة وتأويل خدعة.

(وبُدِّلت الأحكام)

أي رفضت الأحكام التي يشهد بصحتها العقل.

روي أن أبا بكر كان على المنبر فسئل عن الكلالة، فقال: ما سمعت فيها شيئاً، وسأقول فيها برأيي فإن أصبت فا لله وفقني، وإن أخطأت فالخطأ مني ومن الشيطان، وا لله ورسوله منه برئان، أراه ماخلا الوالد والولد. فلما ولي عمر قال: إني لأستحيي من ا لله أن أرد قضاء قضى به أبو بكر.

وكتب كاتب عمر عند عمر بن الخطاب: هذا ما أرى ا لله عمر. فقال عمر: امحه، واكتب: هذا ما رأى عمر، فإن يكن صواباً فمن ا لله، وإن يكن غير صواب فمن عمر.

وهذا هو صريح الرأي وقطب يدور عليه كلام أهل الرأي.

وسئل ابن مسعود عن امرأة مات زوجها عنها، ولم يفرض لها صداقاً، قال: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن ا لله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، وا لله ورسوله منه برئان، لها مثل صداق امرأة من نسائها ولا وكس[1] ولاشطط، ولها الميراث وعليها العدة.

---

(١) - أي لانقص عليها من صداق قريبتها.

(وخُولف التوحيد)

روي عن سليمان بن علي، عن أبيه، عن علي بن عبد الله بن عباس، قال: كنت جالساً عند أبي فقال له رجل: يا أبا العباس، إن هاهنا قوماً يزعمون أنهم أُتُوا من قِبَلِ الله تعالى، وأن الله تعالى أجبرهم على المعاصي. فقال: لو عَلِمْتُ أن هاهنا منهم أحد لقبضت على حلقه فعصرته حتى تزهق نفسه.

وقيل: إن أول من أظهر الجبر معاوية، روي أنه قام خطيباً بالشام، فقال: إنما أنا خازن من خزان الله أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله. فقام إليه أبو ذر فقال: كذبت يا معاوية إنك لتعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله. فقام عبادة بن الصامت فقال: صدق أبو ذر. فقام أبو الدرداء فقال: صدق عباده. قال: ثم نزل[1] عن المنبر وهو يقول: فنعم إذن فنعم إذن.

وروي عن أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه »[2].

وروى محمد عن محمود بن لبيد[3] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إن هذا سيريد الأمر بعدي - يعني معاوية وأشار إليه - فمن

---

(١) - في (هـ، ض): فنزل.

(٢) - هذا الحديث ومابعده قد استكمل الكلام عليها الأمين في الغدير ١٠/١٤٢ ومابعدها، فراجعه.

(٣) - وفي نسخة: وروى محمد بن محمود بن لبيد.

أدركه منكم وهو يريد فليبقر بطنه » . قال الحسن[1]: فلم يفعلوا فأذلهم الله تعالى.

روي عن شريك، عن ليث، عن طاووس، عن عبد الله بن عمر قال: تركت أبي يتهيأ للمضي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فسمعته) يقول: « ليدخلن علي رجل يموت على غير ملتي » فرهبت[2] أن يكون أبي، فمازالت عيني إلى الطريق حتى دخل معاوية[3].

وروي أنه مات وفي عنقه صليب.

والقول بالعدل قول الأنبياء والرسل والسلف الصالح من هذه الأمة.

وروي عن الحسن أنه قال: إذا كان يوم القيامة دعي إبليس وقال الله: ماحملك على الا تسجد لآدم فيقول: يا رب أنت حِلْتَ بيني وبين ذلك. فقال له: كذبت. فيقول: إن لي شهوداً، فينادى أين القدرية شهود إبليس وخصماء الرحمن، فتقوم طوائف من هذه الأمَّة، فيخرج من أفواههم دخان أسود فيطبق وجوههم فتسود، وذلك قول الله تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى

---

(١) ـ الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد الأعلام المشهورين، توفي سنة (١١٠ هـ).

(٢) ـ في (هـ، ض): فهربت.

(٣) ـ أخرجه البلاذري في التاريخ الكبير والطبري في تاريخه كما في الغدير ١٠/١٤١، ونصر بن مزاحم في أخبار صفين ٢١٩ من طريق شريك به، وفيه أن القائل: تركت أبي يتهيأ. هو عبدالله بن عمرو بن العاص. راجع الغدير ١٠/١٤١ ومابعدها.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] .

وهذا قول الصحابة والتابعين وإنما أخذوا ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الخليل بن مرة عن أبي غالب عن أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: لاتظلموا عند قسمة مواريثكم، ولاتَغُلُّوا غنائمكم، ولاتجبنوا عند قتال عدوكم، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، ولاتحملوا على الله ذنوبكم »[1] .

وروي عن مكحول، عن أبي هريرة أن رجلا من خثعم قام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: متى يرحم الله عبيده؟ قال: « ما لم يعملوا بالمعاصي، ثم يزعمون أنها من الله تعالى، فإذا فعلوا ذلك انتزعت منهم الرحمة انتزاعاً ». قال الخثعمي: يا رسول الله أَيُضِلُّ الرَّجُلَ وهو يقرأ القرآن؟ قال: « إذا قال هذا القول طُبِعَ[2] على قلبه »[3] .

وروي عن ابن عباس، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « ماهلكت أمة قط حتى يكون الجبر قولهم »[4].

---

(١) - لم أقف عليه في كتب الحديث.

(٢) - في (هـ، ض): طبع الله.

(٣) - لم أقف عليه بهذا اللفظ في كتب الحديث. وانظرنحوه في سبيل الرشاد ٣٩ بتحقيقنا.

(٤) - لم أقف عليه في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(وعاد الإسلام غريباً، والمؤمن وحيداً خائفاً)

هنالك إذا ظهرت هذه البدع، صار المؤمن وحيداً خائفاً، فلذلك ومن أجله انتشر علم أبي حنيفة، وعلم الشافعي، ومالك، وخفي علم أهل البيت عليهم السلام(1)، فلم ينتشر كما انتشر غيره مع كثرة الفضلاء منهم، وسبب ذلك أن معاوية لماتَغَلَّب صَيَّر عداوة أمير المؤمنين عادة وسيرة، حتى كَتَب إلى أهل ولايته أن اقتلوا من كان على دين علي وكذلك كتب إلى بعض ولاته: أن اضرب عنق حُجْر بن عدي؛ لأنه لم يتبرأ من علي وأنكر سبه. فكانوا يلعنون علياً عليه السلام على المنابر، ويدعونه أبا تراب(2)، حتى ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فمنع من ذلك وفي ذلك يقول كُثَيِّر عَزَّة(3):

وليت فلم تشتم علياً ولم تُخِفْ بريـاً ولم تتبـع سـجبة مجـرم
وقلت فَصَدَّقْتَ الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

---

(1) ـ استغل المؤلف هذا الموضع بالإجابة على سؤال مطروح: لماذا أخفي علم أهل البيت وظهر علم غيرهم، وماذكره هنا ليس هجوماً على الفقهاء وإنما بياناً لأسباب انتشار مذاهبهم.

(2) ـ هذه المأساة ثابتة في كتب التاريخ وتراجم الرجال حتى كان من يريد التقرب إلى السلطة الأموية يبالغ في لعن علي (ع) وأهل بيته، ولست أدري بأي حق مرر المتعاطفون مع معاوية له هذه الفعلات الشنيعة من سب أفضل أصحاب رسول الله (ص) واتخاذ ذلك سنة، ولمزيد من التوثيق حول هذه المأساة انظر أسد الغابة ١٣٤/١، والإصابة ٧٧/١، والغدير ٢٥٧/١٠ ومابعدها.

(3) ـ اسمه: كثير بن عبدالرحمن بن الأسود الخزاعي الشاعر المشهور كان مقرباً إلى بني مروان وقبل كان من الشيعة، توفي بالمدينة سنة (١٠٥ هـ). الأعلام ٢١٩/٥.

ورد فدكاً على محمد بن علي الباقر، وقال [كثير] أيضاً في الكعبة:

طبت بيتاً وطاب أهلوك أهلا   أهل بيت النبي والإسلام
لعن الله من يسب علياً   وحسيناً[1] من سوقه وإمام
يأمن الطير والوحش ولا   يأمن أهل النبي عند المقام

وكان العالم يُمْنَعُ من إظهار علمه.

وروي أن سفيان الثوري دخل على الصادق عليه السلام، فقال له جعفر: يا أبا عبد الله أنت رجل مطلوب، وللسلطان علينا عيون فاخرج عنا غير مطرود.

وكان أصحاب أبي حنيفة إذا تكلموا بمسألة وكان فيها قول لعلي عليه السلام قالوا: قال الشيخ. ولم يفصحوا باسمه خوفاً من السلطان، فلما انقضى ملك بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وصار الملك إلى بني العباس قويت عداوتهم، فازدادت لأهل البيت والعلماء منهم، فكان الخلفاء يقتلون اقتداء بفعل بني أمية في قتل أميرِ المؤمنين علياً عليه السلام.

وسُمَّ الحسن بن علي عليه السلام على يدي امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس، فروي عنه أنه دخل الخلاء فقال: سقيت السم مراراً، وماسقيت مثل هذه المرة، لقد مَشَتْ طائفة من كبدي.

---

(١) - في (هـ، ض): وبنيه.

وخبر الحسين مشهور لايحتاج إلى ذكر، وكان وَرَدَ كتاب[1] عبيد الله بن زياد أن تواطي الخيل على ظهره. فَفُعِل ذلك، وسيق أهله ونساؤه على الأقتاب إلى دمشق.

وطُلِبَ بعده زيد بن علي عليهما السلام وهو أحد الأئمة، حتى روي عن الزهري[2] ـ وهو إمام أصحاب الحديث ـ، أنه قال: ذلك زيد بن علي[3]، فقتل وصلب وأحرق. وقتل ابنه يحيى.

ثم قتل في أيام بني العباس النفس الزكية، وهو: محمد بن عبد الله أحد أئمة الزيدية، ثم قتل بعده أخوه إبراهيم بن عبد الله، فكانوا بين مقتول ومطرود، ومُخْفٍ نفسه وكاتم نسبه، فكيف ينشر العلم والحال هذه.

وروي أن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه وهو أحد أئمة الزيدية كان متوارياً أربعين سنة، ومازالت هذه حالهم إلى أن ذهبت دولة العباسية بظهور الجيل والديلم.

هذا هو السبب في خفاء فضلهم وعلمهم، وكان سبب ظهور عِلْم العامَّة،

---

(١) ـ في (ج): وورد في كتاب.

(٢) ـ الزهري: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد أقطاب الرواية عند المحدثين وكبير ثقاتهم، اشتهر بولائه للسلطة الأموية حتى كان يتزيا بزي أجنادهم، ذكر ذلك الذهبي في ترجمته في الميزان. توفي سنة (١٢٥ هـ). انظر الفلك الدوار ٢٢٤.

(٣) ـ كذا في النسخ، ويبدو أن فيها تصحيفاً، وأن الصواب: فتق زيد بن علي..، يعني شق العصا، أوما أفاد هذا المعنى.

وليَ أبو يوسف[1] القضاء من قِبَلهم، فانتشر علم أبي حنيفة، ثم ولي محمد بن الحسن[2]، والحسن بن زياد[3]، فهذا معنى قوله عليه السلام: (والمؤمن وحيداً خائفاً) لهذه العلة.

(فتسديدك اللهم وعونك)

سأل الله تعالى أن يسدده للقيام بالعدل والتوحيد، وأن يعينه على النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا الكلام في الأصول معان، منها: أن العبد لايكون معاناً بأن يُمَكَّن من الفعل فقط بالقدرة وغيرها، فإن ذلك لو صح لوجب أن يوصف بأنه تعالى معين للبهائم والمجانين؛ كما يوصف أنه تعالى معين للمكلف، ولوجب أن يوصف بأنه تعالى أعانه على الكفر إذا أقدره عليه؛ كما يوصف بذلك إذا أقدره على الإيمان على بعض الوجوه، فَعُلِم بذلك صحة ما قدمنا في هذا، ولذلك تَوَجَّبَ أن تكون معونة لأمر زائد على كونه تمكيناً، وهو أن يقصد تعالى بفعله أن يختار المُمَكَّنُ الطاعة، فمتى فعله على هذا الوجه وُصِفَ التّمكين بأنه معونة، ولولا ذلك لم يوصف بهذا الوجه، لأنه لم يُرِد بتمكينه وإزاحة عِلَلِه منه الكفرَ والمعاصي.

---

(١) - تقدمت ترجمته.

(٢) - تقدمت ترجمته.

(٣) - الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي فقيه من تلامذة أبي حنيفة ولي القضاء بالكوفة سنة (١٩٤ هـ)، وله كتب ورواية، توفي سنة (٢٠٤ هـ). الأعلام ٢/١٩١.

وَعَلَى هذا تُسْتَحَقُّ المَعُونَةُ في الشاهد، لأنه من أعطى غيره سيفاً وقصد أن يُجَاهِدَ في سبيل الله فقد أعانه على الجهاد، وإن كان يصلح أن يقتل به نفسه والمسلمين فلا يُوصَفُ بأنه أعانه على ذلك لهذه العلة، والتسديدُ كذلك.

(فإنا لَمْ نَزَلْ في تفرُّقِنَا من قِبَلِك، ولا في اختلافنا من قَدَرِك)

قد تقدم الكلام في القدرية شهودِ إبليس وخصماء الرحمن، فلا وجه لإعادته هاهنا.

(كذب المدعون ذلك عليك).

وقد كذبهم الله تعالى حيث قال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِيـنَ كَذَبُـوا عَلَـى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

(وهلك المفترون ذلك عليك).

وأيّ هلاكٍ هَلَكُوا، وفي أيِّ سبيل سلكوا، سبيلَ الشيطان عَدُوِّ الرحمن.

(ونحن الشهود لك على خلقك).

وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

(والناصحون لكل من اتهم قضاءك).

يريد عليه السلام اتهم أمرك، نحو إعلامك بمايكون، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ فِيْ الكِتَابِ﴾، وهو من الذي يقع فيه التقديم والتأخير، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيْراً﴾ [الإسراء: ٤]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(وجانب هُدَاك).

وهو العقل ومامنحه وعرفه من الله وحكمته.

(وعَنَدَ عن دينك).

أعرض عنه، ودين الله هو الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّيْنُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

(وأحال ذَنْبَه[1] عليك).

مثل قول داود[2]، ومن نحا نحوه من الحشوية، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، ويحسبون أنهم مهتدون، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالاً الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٤].

---

(١) - تصحفت في (ص) إلى: دينه.

(٢) - يعني داود الظاهري. وقد تقدمت ترجمته.

(ونسب جوره إليك).

من قولهم قُدْرَةَ الكفر لاتكون قدرة على الإيمان، وقدرة الفسق لاتكون قدرة على الكفر.

(أو قاسك بمقدار، أو شبهك بمثال، وقد قطعت العذر بكتابك المُنَزَّل، وأكملت دينك على لسان نبيك المرسل، محمد صلى ا لله عليه وآله وسلم.

أما بعد فإن الدين لماعَفَتْ آثاره، وانْطَمَسَت أعلامه، واضْمَحَلَّت أنباؤه، وسُدَّت مطالعه).

(أما بعد) قيل إن أول من تكلم بها أمير المؤمنين، وهما كلمتان جعلتا كلمة واحدة في الخطب والرسائل، مماشاكلهما للفصاحة. (أما) للخبر، و(بعد) لما وراء الغاية، والتقدير في هذا: إنا لما فرغنا من الفصل الأول أخبرنا عن ابتداء فصل ثان (فإن الدين) عبارة عن الشريعة، (لما عفت آثاره) أي دَرَسَت قال الشاعر:

عفت الديار محلها فمقامها[1]

(آثاره) وهي الأخبار، واحدها أثر، ومنه قيل: أخبار مأثورة عن الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم، قال ا لله تعالى: ﴿**إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ**

(١) - في (هـ، ض): عفت الدر محلها ومقامها.

﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤] ، وأصله من الأثر المعلوم برجلي الرجل في المحجة[1]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام داعياً على الخوارج: « لابقي منكم أثر ». أي مخبر، وهو الذي يروي الحديث. (وانطمست أعلامه) هي: ماعَلَمْتَ به الشيء ليتميز بعَلَمِك عن غيره، وأصله الحجز بين شيئين، والأنصاب في الطريق أعلام لها، والجبال أعلام، والأعلام الرماح. وأصل الطمس من التغطية، قال الله تعالى: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] .

(واضمحلت أنباؤه) واضمحل الشيء إذا انمحى[2] وقَلَّ فصغر عما عُهِدَ. والأنباء هي الأخبار الصحيحة.

(وسدت مطالعه) السَّدُّ هو الشيء الحائل، والمطالع هي المراقي، شبه عليه السلام الأئمة بهذه الأشياء، وأشار بها إليهم وإلى الناقلين عنهم، ثم بين ذلك فقال:

(عندما فقد من أنصاره، والقائمين بحفظه وحياطته).

هذه الهاء راجعة إلى الدين وهو الشريعة، قال الله عز وجل: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] ، والقائمين[3] هم أنصار الدين، والقائمون بحفظه

---

(١) - في (هـ، ض): بالمحجة.

(٢) - في (هـ، ض): امتحق.

(٣) - سقط من (هـ، ض): والقائمين.

وحياطته يحوطونه تشبيهاً بالذي يحفظ أهله وماله، وهذا أعظم وألزم من ذلك، ومنه سمي الحائط حائطاً وإن كان مَحُوطاً.

(نطق الكاظمون)

كاظموا أولياء الله بماقالوا في زمن أئمة الجور.

(وظهر المُرْصِدُون)

يعني من كان يَرْصُد قيام أهل الباطل من العلماء الذين مالوا إلى دنياهم، وخالفوا أهل البيت عليهم السلام في فتواهم، وغنموا الفرصة فجعلوا لهم مذاهب، وقد روي عن بعضهم في ذلك الزمان أنه تمثل بقول أمير المؤمنين[1]: اغتنم الفرصة إما مرت فربما طلبتها فأعيت. والأمر إن أعيي عليك من أعلا فاطلبه قبل فوته من أسفل. وأصل ذلك من الرَّصد، وهو القعود[2] على الطريق لأخذ أموال الناس وسفك دمائهم بغير حق.

(و لله جل ذكره إلى كل رَصَد[3] من الباطل طلائع من الحق).

---

(١) - لم أقف على مصدر لهذا النص فيما رجعت إليه.

(٢) - في (هـ، ض): هم القعود.

(٣) - في (هـ، ض): مرصد.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « خير الطلائع أربعمائة »[1] وهي: عيون الجيش، وأوائلهم، وذوو النجدة والشدة، والسبق إلى الشدائد، وطلائع الحق هم أنصار الدين، يرون ماخفي على غيرهم من المقالات الردية، فسموا طلائع الحق، سماهم بذلك عليه السلام.

(ومع كل داع إلى الضلال بينات من الهدى).

لم يرد عليه السلام أنه يدعو بدعوة الهدى والإرشاد، إنما دعا إلى الضلال، وقد أعطاه الله العقل حجة من الضلال، وبينة للجهال، وإرشاداً لهم من سبيل المحال، فهذا معنى قوله: (ومع كل داع إلى الضلال بينات من الهدى).

(وإلى جنب طريق كل حَيْرَة سبب واضح من الإرشاد، وفي كل شيء حجة قاطعة).

جنب الطريق هو: الطريق على وجه. (الحيرة)، عبارة عمن حَار في الضلالة، وتحير فيها.

(سبب واضح من الإرشاد)، كناية عن علماء أهل البيت عليهم السلام، وهو مأخوذ من الحَبْل.

---

(١) ـ الحديث في تاريخ ابن عساكر ٣٩٦/٤ عن أنس بن مالك (تهذيبه) بلفظ: خير الطلائع أربعون، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف. عن أنس بن مالك.

(وفي كل شيء حجة قاطعة) والشيء عند أهل الأصول هو أعم العموم.

والشيء[1] هو مايصح أن يُعْلَم، ويخبر عنه أو يدل عليه، لأنه مادخل تحت هذا الحد سمي بأنه شيء، وماخرج عن هذا الحد لايسمى شيئاً، وقد يجري الكلام في لاشيء على المجاز، ولاحقيقة له، ثم ينقسم إلى شيئين موجود ومعدوم، فلِلّه في كل شيء حجة قاطعة لمن نظر وتفكر، لا لمن قلد وأهمل.

(فأما رسل الله صلوات الله عليهم فقد قاموا بحجج البلاغ، وأدوا وظائف الحقوق).

احتجوا على أهليهم ومَنْ بُعثوا إليه في أزمنتهم بما أعطاهم الله من حججه، وأبان لهم من منهجه، وهي وظائف الحقوق، وهي لوازم الحقوق، وهي رواتب الحقوق.

(وأبلغوا[2] ماعليهم من فَرْضِ النّصيحة، وأنفذوا شرائط الله عليهم في خَلْقِه، وأوقفوا العباد على سبيل النجاة، وسلكوا بهم مناهج السلامه).

(فرض النصيحة)، لم يدخروا عنهم شيئاً ينفعهم في آخرتهم بماعلمهم الله إياه، وكانوا يحتاجون إليه لدينهم ودنياهم.

---

(١) - في (هـ، ض): أعم العموم وحده.

(٢) - في (هـ، ض): وبلغوا.

(وشرائط الله) قوله: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، وكقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيْغاً﴾ [النساء: ٦٣] .

(وأوقفوا العباد على سبيل النجاة) هو جميع ما افترض الله عليهم، لأنه سبيل لنجاتهم من النار.

(وسلكوا بهم على منهاج السلامة)، وهي[1] طريق الجنة وهي السلامة.

(وحذروهم طرق الحَيْرة).

وهي مأخوذة من الضلالة، والرجوع إلى الباطل في كل مقالة.

(واحتملوا في جنب مرضاته الصبر في البأساء والضراء، صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته).

ولقد نقل إلينا من غير جهة ماكان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم في ابتداء دعائهم من المحن والبلاء من ظالمي أممهم، مالايحتمل ذكر بعضه هذا الكتاب، وماصبروا عليه من الجهاد والقتل والعناد، ونبيئنا صلى الله عليه وآله وسلم هو أشدهم بلاء، وأكثرهم عناء، على ماوصل إليه من أذى قومه وعشيرته، حتى كتبوا بينهم كتاباً على أسرته، وحرموا عليه البيع والشراء،

(١) - في (هـ، ض): وهو.

ومنعوهم بسببه مرافق الدنيا، مع ما اتصل إليه في نفسه من الأذى، ولما اتسع نطاق الإسلام، واستمر بعد الهجرة منه النظام، عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها، واختار ماهو عليه من ضيق الحال وقلة المال، لعلمه بالانتقال من الدنيا والزوال.

ولقد بلغنا أنه خرج هو وأمير المؤمنين صلوات الله عليهم إلى السوق ليشتري قميصاً ومعه اثني عشر درهماً، فإذا هما بجارية سوداء على ظهر الطريق تبكي، فقال لها مايبكيك؟ فقالت: يارسول الله أعطاني أهلي أربعة دراهم اشتري بها حاجة[1]، فسقطت مني، فأخاف أن يضربوني، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة دراهم، ومضى إلى السوق وابتاع قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله تعالى ثم انصرف، حتى إذا كان في بعض الطريق، فإذا سائلا يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة. قال: فخلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القميص.

ثم رجع إلى السوق، فابتاع بأربعة دراهم الباقية قميصاً فلبسه وحمد الله تعالى، وانصرف، فإذا السوداء قائمة تبكي، فقال لها: مالك أليس قد أعطيتك أربعة دراهم؟ فقالت: بلى يارسول الله، ولكني احتبست عن أهلي، فأخاف أن يضربوني. فقال: مُرِّي، ومضى معها حتى انتهى إلى أهلها، فلما قام على الباب قال: « السلام عليكم ». فلم يردوا شيئاً، وكان لاينصرف

---

(١) ـ في (هـ، ض): ابتاع لهم حاجة.

حتى يؤذن ثلاث مرات[1]، فلما كان في الثالثة أجـابوه، فقـال: « فمـامنعكم أن تردوا علي، وقد عرفتم الصوت؟ » فقالوا: أحببنا أن نستكثر من سلامك. فقال لهم: هذه الجارية. فقالوا له: هي حرة لممشاك، فانصرف صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: « تا لله ما رأيت كاليوم، اثنا عشر درهماً، كسى الله بها عارياً، وأعتق بها نسمة »[2].

(وفيما بين أزمنة الرسل فترات في مثلها يتحير الضلال، ويدفن الحق، ويغمض البرهان، بتظافر [3] الجبارين على أولياء الله وأهل طاعته).

قوله عليه السلام: (وفيما بـين أزمنـة الرسـل فـترات)، هـو الوقـت الـذي يكون بين رسولين، وهو مأخوذ من السـكون، كـالوقت الـذي بـين موسـى وعيسى، وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم، وليس تحير الضلال فيها إلا من وجهين: أحدهما تمسك أمة كـل نبي بماجـاء بـه، غـير مقـرة ولامصدقـة بنسخ شرائع الأنبياء أو بعضهم. والوجه الثاني: إجابة دعوة نبيها مع تصديـق الأول، وإجازة نسخ شريعة الأول بشريعة الثـاني، أو بعـض منهـا. وفي أهـل هذه المقالة من يوافق في جواز النسخ عقلاً، ويدعي المنع منه من حيث يدعـى

---

(١) - في (هـ، ض): بثلاث صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) - هـذه الحكـاية أوردهـا المؤلف في الأمـالي ٢٦ ـ ٢٧ بإسنـاده إلى جعفـر بـن محمـد عـن أبيـه عن جده.

(٣) - في (هـ، ض): بتظاهر.

أن موسى صلى الله عليه قال: إن شريعته دائمة، وأنها لاتنسخ. والذي يبطل هذا القول ظهور المعجز على من يدعي نسخ شريعته، وقد عرفنا ذلك في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيعلم بذلك أنهم مبطلون، لأحد وجهين: إما بالنقل، وإما بالتأويل؛ لأنه لايمتنع أن يكون مراده صلى الله عليه وآله وسلم بأن شريعته دائمة إلى غاية، بل لابد من ذلك، لأن التكليف منقطع، فإذا دلت هذه المعجزات الظاهرات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صدقه في نسخ الشريعة المتقدمة، عُلِمَ بذلك قول الخصوص دون عموم الأوقات. وقالت: إن ذلك يدل على البداء، وقالت البراهمة: إن ذلك ينقض أدلة العقول، ولاتحسن بعثة الأنبياء عقلاً.

فأما قول اليهود: إن ذلك يدل على البداء، فخطأ، لأن ذلك يدل من هذا الباب على أن البداء أن تأمر زيداً بفعل وتنهاه عنه في وقت واحد على وجه واحد، فأما إذا تغايرت الأفعال والأوقات، فليس ذلك يدل على البداء، من حيث عَلِمَ تعالى مصالح المكلفين لِمَا خلقهم عليه من الاختلاف، وكذلك اختلاف المصالح لاختلاف الشرائع في الأعيان والأوقات والأفعال، وذلك بحسب قيام الدلالة، وذلك جائز ولايعلم إلا بورود شرع من المُكَلِّفِ على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(ويدفن الحق) أصله من واريت الشيء عن الإبصار وأخفيته، أي يخفيه قوم قد علموه.

(ويغمض البرهان)، مأخوذ من تغميض العينين، وهو مثل الأول، والبرهان

هو الحق الذي شرعه الله تعالى، وسماه بذلك برهاناً لاهتداء الناس به، لم يشرط عليه السلام في ذلك شرطاً أنه لايكون ذلك الطول كذلك إلا بتظاهر الجبارين على أولياء الله، وهم أهل الكبرة الذين جمعوا الأموال، واستعبدوا الرجال، وهم[1] أضداد الأنبياء عليهم السلام. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « الكبرياء رداء الله »[2].

(وأولياء الله هم أهل طاعته)، وكلمة: الولاء، على ثلاثة أوجه: الملك، والمصافاة، والمصير إلى الغايات.

(وهناك[3] يندب الشيطان ولاته)

(ندب): اختار، والمندوب إلى الشيء هو المختار له، (ولاته): من تولية الإغواء والإفساد، والإصغاء إلى العناد[4]، وهذا من حسن الأمثال والعبارة.

(ويبث دعاته)

أي يفرق من يأمرهم بالإفساد، وهو مأخوذ من بث يبث بثاً، والدعاة من يدعو إليه.

---

(١) - في (هـ، ض): فهم.

(٢) - هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، وأحمد ٤١٤/٢، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجة (٣١٧٤)، والطيالسي (٢٣٨٧)، وابن حبان ٣٥/٢ (٣٢٨) عن أبي هريرة.

(٣) - في (هـ، ض): فهنالك.

(٤) - في (ج): والإصغاء على العباد.

(وينصب حبائله)

وهو مأخوذ من الحِبَالة، والأشـراك، واحدهـا شَـرَك، وهـو الحِيَـل والمكـر والخدع.

(ويدخل على الناس الشبهة، ويضطرهم إلى الحيرة).

و(الشبهة) مأخوذ من شِبْهِهِ ومِثْلِه في فرعـه وأصلـه، لايتخلـص منهـا إلا المستعمل لعقله، لأن العقل حصن من الشبهة، ومعقل يلجأ إليه عند الأحـوال المضطربة، (ويضطرهم إلى الحيرة)، معنى يضطرهم، أي: يغلب عليهم، فشَبَّه عليه السلام ذلك بالضر الذي هو من غير فعله.

وقد ورد في الكلام أن الإنسان يضطر غيره إلى أمره ونهيه، لاعلـى سـبيل الإكـراه، وفيـه مـايكون كرهـاً عليـه، ولايصـح ذلـك مـن الشـيطان، وعلـى موجب القول بـالعدل والتوحيـد إن دُعَـاء الشـيطان الخلـقَ إلى المعـاصي غـير مدخل لهم فيها، لأن دخولهم في المعـاصي باختيـارهم، والدعـاء غـير فعلهـم، فإنما يحصل الإضطرارات، أن يزين له شيئاً ويرغبه فيه، ويكون القـابل لذلـك من قِبَل نفسه، ولامعنى لقول من يقول إن الشيطان يدخل في صدر الإنسـان ليوسوس له شيئاً ويزينه له، وهذا مـن المحـال لتعـذر ذلـك في الشـاهد، ومنـع العقل من ذلك، ولايتأول قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُوْرِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] على ذلك، وإنما هذا خبر من الله عز وجل وإعـلام، ومَثَـلٌ يجـري عنـد ذوي الأفهام، ومن يعرف العربية والكلام، لما كانت الوسوسة في النفس، وكـانت

تقرب من الصدر، عَبَّر بذلك للمجاورة والقرب، كما ذهبت العرب في أقاويلها على ذلك.

(وليست فترة من الهدى، ولكنها فترة من الرسل والإرشاد، وفيها كتبه وحججه، وبقايا من أهل العلم يحيون العلم ويحيون به)

قد ذكرنا شرح الفترة. (من الهدى والإرشاد)، يريد الهدى نصب الأدلة ومايتوصل به المكلف إليها، وكذلك الإرشاد، وهو[1] العقل، والكتاب، والسنة.

(ولكنها فترة من الرسل): زمان ليس فيه الرسول، و(فيه كتبه وحججه)، أي: وعِلْم حججه. (وبقايا من أهل العلم)، هم أهل الشريعة من فقهاء الأمة وخلفاء الأئمة[2] وجلاء الظلمة.

(بقايا) أي آخر أهل العلم، هم أهل الشريعة من فقهاء الأمة، ممن عرف جملة من علم الأصول والفروع، وتفاصيل من هذين الفنين، واختلاف مذاهب الناس في أديانهم ولغتهم، لاسيما اللغة العربية، فإنها أولى بالمعرفة، لمايتعلق بمعرفتها من الأسماء والمعاني وفصل الخطاب، في الجاهلية والإسلام، وجميع الأحكام والفرائض والسنن، والتقديم والتأخير، والإطناب والإسهاب،

---

(١) - في (هـ، ض): وهي.

(٢) - في (هـ، ض): وبقايا الأمة وخلفاء الأئمة.

والحقائق، والموجز في الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، والخطب، والبلاغات، والرسائل، والوسائل، والأمثال، والدعاء، والسؤال، والتمني، والجدال، والإرشادات، والحكايات، وغير ذلك من العلوم التي يكون بها صلاح الأجسام، وماعلمه يقتضي الزيادة في خدمة ذي الجلال والإكرام.

(يحيون العلم ويحيون به)، أما إحياؤهم للعلم فهو تعليمهم العلم غيرهم، وإحياء كتبه التي تغيرها الأوقات، وأما حياتهم به فهو حياتهم من الجهل، وعلمهم بماعلموه في كل معنى وفضل، فهم به أحياء وإن كانوا أمواتاً عظاماً ورفاتا.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: « العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقوده، وأمثالهم في القلوب موجودة » [1].

(قد وجهوا لله رغبتهم).

من المقدم والمؤخر، أي أنهم قصدوا الله تعالى بأعمالهم، رغبة بالثواب العظيم، الذي عملوه جزاء من ربهم.

(وامتحنهم الله بأهل دهرهم).

اختبر الله صَبْرَهم على أذى أهل دهرهم ممن طغى وتجبر وعتا وكفر.

---

(١) - نهج البلاغة خطبة (١٤٧) من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي.

(قد تمسكوا بنور كتابه، وعرفوا مواقع حججه، في كل بدعة حدثت، أو شبهة نزلت).

(تمسكوا بنور كتابه[1])، أي بعلم الكتاب من محكمه[2] ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، وجميع وجوهه.

(وعرفوا مواقع حججه)، وهو معرفتهم بمواقع الحجج بما يحتاجون إليه إذا سألهم أهل الإلحاد، الذين قال فيهم [أمير المؤمنين] صلوات الله عليه: « وبقي رجال غَضَّ أبصارَهم ذكرُ المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نَادّ، وخائف مقموع[3]، وساكت مكعوم[4]، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامرة، وقلوبهم قَرِحَة، قد وعظوا حتى ملوا، وقُهِرُوا حتى ذلوا، وقُتِلُوا حتى قلوا » [5].

(في كل بدعة حدثت) أي أحدث المبتدعون.

(أوشبهة نزلت) أي تمويه بشبهة، وقد قدمنا الكلام في الشبهة.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: « وإنما سميت الشُّبْهة شبهة لأنها تشبه

---

(١) - في (هـ، ض): الكتاب. وفي (ج): كتاب الله.

(٢) - في (هـ، ض): بعلم الكتاب ومحكمه.

(٣) - في (ج): مغمور.

(٤) - في (ج): مكظوم.

(٥) - نهج البلاغة خطبة (٣٢) من خطبة فيها يصف زمانه بالجور.

الحق، فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين، ودليلهم سَمْت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم الضلال، ودليلهم العمى » [1].

(نزلت)، أي اتصلت من مشبه بها على مثال الحق.

(فهم من الناس في أذى وجهد، ومن الله سبحانه في كلاءة وحفظ).

أذى الناس لهم قلة المبالاة بهم، والاحتقار لهم، والإغماض لحقهم، وليسوا بالناس الذين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا على المثال الذي شبههم به، وهو: « الهمج الرعاع »، وهو ذباب الكنيف، بل صغير الحيوان، وقد أجهدوا أنفسهم في تذكيرهم ووعظهم، وفي الانتزاح[2] عنهم والهرب منهم، والله عز وجل يكلؤهم ويحفظهم من سطوتهم، واستباح المحظور منهم، حتى يعلم أن ذلك زيادة فيما يدلهم عليه، ويكثر علمهم لديه، فهذا معنى قوله: (وهم من الله في كلاية وحفظ).

ثم قال عليه السلام في وصفهم وقلة عددهم: **(فهم الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً).**

ثم قال عليه السلام: **(ولن تخلو أمة من مغتال لها، مفرق لجماعتها، وآخرَ داع[3] إلى هداها وصلاحها).**

---

(١) - نهج البلاغة الخطبة (٣٨) من كلام له (ع) وفيها علة تسمية الشبهة شبهة.

(٢) - في (هـ، ض): والاسراح.

(٣) - في (هـ، ض): دعاها.

فداع إلى الهدى[1] والصلاح، يجمع شمل الأمة بالوعظ والتذكير، والأمر والتحذير، والجِدِّ والتَّشْمِير، وداع بمايفرق هذه الجماعة، ويصد عن سبيل الطاعة، فداع الهدى والصلاح: **(ممن نظر فاعتدلت فطرته، وصفت طبيعته)**.

هذا فيه تقديم وتأخير وإشارة وضمير، معناه ممن اعتدلت فطرته، أي: خلقه، وصفت طبيعته التي طبعه الله عليها، لما نظر بفكره، فوقع له بذلك النظر علم بأحواله التي طبعه الله عليها، وفطره من أصولها، وقدره بعد حصولها.

(وكان نظره بعين النصيحة لنفسه).

نصح نفسه لمانظر في الأدلة، وهي عين النصيحة ـ أي: نفسها ـ في كل مايصلحه من أمر دينه ودنياه، فعبر عن الشيء بعينه، طَبْعٌ ركبت عليه الأجسام، وصُنْعٌ لحكيم[2] على مايَسْتَدِلُ به على الله أهلُ العقول والأفهام، لما في ذلك من الصلاح للعباد والبلاد، وانتزاح التشبيه والإلحاد، حججه[3] دالة عليه ومحجة مسلوكة إليه.

---

(١) - في (هـ، ض): فداع الهدى.

(٢) - في (ج): الحكيم.

(٣) - في (هـ، ض): حجة.

(قد ملَّكَ عقلَه الحكمَ على هواه).

جعل العقل منه ملكاً، وهواه مملوكاً، فكان حاكماً عليه بمايجب عنده إذا خرج عن الطريق الحسنة إلى مدرجة القبيح، فسبح فيها مع كل ريح.

والهوى، من القصد، ولايخلو أن يقصد الحسن أو القبيح، والاعتقاد السقيم أو الصحيح، مع انقياده للعقل، أو مكابرته له بالجهل، وهو الذي أشار . إليه وعناه.

(وقيد شهواته بآسار الذُّل تحت سلطان الحكمة).

فسلطان الحكمة هو العقل، وهو مُقَيِّد للشهوات.

(بآسار الذل) مأخوذ من الحبل الذي تُربط به يد الأسير، وهو المستولى عليه في الحرب والمظفور به، فشبَّه ذلك كذلك، وباعث الشهوات الهوى المردي، والنوى المكدي، فصار الهوى بحكم العقل ذليلا فما أراه إلى الحق سبيلا، ورده عن جِمَاحِه، وصَدَّه عن صلاحه.

(فأسلمه ذلك إلى مباشرة اليقين بربه).

يعني لماملَّك العقل على هواه، باشر اليقين بالله، حتى لم يختلجه الشك عن محجة اليقين[١]، وصعد به إلى درجة المتقين.

---

(١) - في (هـ، ض): في محجة اليقين.

(فاستلان ماastوعر منه المترفون، واستأنس إلى ماستوحش منه الجاهلون[1]).

سهل العقل عليه ـ من معرفة الله ـ ما استوعر على المترفين، الذين قعدوا عن النهوض في محجة العارفين. واللين مأخوذ من السهولة. والوعر مأخوذ من الحَزُونَة[2]، أي: بان له نهج اليقين فسلكه، وعمي عليه مدرج المترفين فتركه ، والترف مأخوذ من ترك العناء في الأشياء وأخذها بالتقليد في الأمور عند الدعاء، فاستأنس إلى ما استوحش منه الجاهلون من القيام والعناء وقلة الإتكال على الأولياء، والمبالاة بالبحث والركون إلى التقليد.

(وصحب الدنيا أيام حياته، وقلبه معلق بالمحل الأعلى، لاتعتريه سآمة ولافتور مِنْ طلب ما أَمِلَ من عيش مقيم).

أقام عمره في الدنيا وقلبه في محل الكرامة متعَلّق، وإلى منزل السلامة مُتَشَوِّق، وأي محل عال ومنزل ذي بال دل عليه العالم الـمُقِيْت[3] فاستدل عليه الآمّ الخِرِّيت[4]، لم يقطع نشاطه سآمة ولافتور، ولاقطع نياطه[5] ندامة

---

(١) ـ في (ص): فاستلان ماستوعر منه الجاهلون.

(٢) ـ الحَزْن: ماغلظ من الأرض. القاموس.

(٣) ـ المقيت ـ بالضم ـ: الحافظ. حكاه في لسان العرب ٢٠/٩٠ مادة (مقت).

(٤) ـ الخريت: الدليل الماهر الذي يهتدي بأخرات المفاوز وهي طرقها الخفية ومضائقها. تاج العروس.

(٥) ـ النياط: الفؤاد، والأنواط: المعاليق. القاموس.

ولاغرور، حتى أخذ في طلب العيش المقيم، ورغب فيما رغب الله فيه من النعيم.

(قد أيقن بالخَلَف فَجَادَ بالعَطِيَّة).

أي أيقن أن المستقرض منه وَفِيٌّ، وأنه بسَنِي العِوَضِ مليٌّ.

(دَلَّه الله فاستدل منه، وخاطبه ففهم عنه، وأرشده لأبين الجَوَادُ، فقبل منه أحسن الإرشاد).

نعم الدليل الذي لايجور، والوكيل في جميع الأمور، أَوْضَحَ للمستدلين عليه الدلالة، وأفصح للراغبين إليه في المقالة، فأمنوا من الزلل في المداحض[1]، لَمَّاعَلِموا بالسنن والفرائض.

(وخاطبه ففهم عنه) لما قصد به إفهامه، واعتمد بمايدريه أعلامه، لطفاً منه له بالبيان، وعطفاً عليه بآجِلِ الإحسان، وهو خلقه حياً لينفعه إذا عمل بطاعته رفعه.

(وأرشده لأبين الجَوَادٌ فقبل منه أحسن الإرشاد)، بَيَّن له جادة الحق من الشريعة، فتوخّاها بقبول منه لتلك الذريعة، لم يشرد عن الله شرود البعير، ولا نأى بجانبه عند مجيء النّذر.

---

(١) ـ المداحض: جمع مدحضة وهي المزلة. القاموس.

(طيبة نفسه بكلما بذل في جنب ا لله).

قطع بسلاح الصبر سلطان البخل، فطابت نفسه بنفس البذل في جنب ا لله في طاعته، وقد قيل: جَنْبُ ا لله: أمير المؤمنين[1]، وذلك غير خارج من طاعة رب العالمين.

(هجم على اليقين).

أي باشر اليقين بعزم المتقين، فسكنت عنه نَفْرَةَ المستوحشين.

(وأنس بالتقوى، فَضَمِنَت له النجاة).

فإن لم يأنس[2]، بالتقوى حتى صبر على البلاء وقيده عن شهوات الدنيا، وكان ا لله تعالى ضامناً له النجاة من سلطان الشهوات.

(وخرج من غمرات الشكوك إلى روح الاستيقان).

---

(١) - ذهب الى هذا التفسير الإمام زيد في تفسير غريب القرآن ٢٧٤، ورواه فرات الكوفي في تفسيره ٣٦٦ عن علي بن الحسين . وذكر الطبرسي في مجمع البيان ١٦٧/٥ عن الإمام الباقر أنه قال: نحن جنب ا لله .

(٢) - في (ج): بأن لم يأنس. وفي هامشها: في نسخة: فإن لم يأنس.. الخ، وفي الكلام غموض من جهة المعنى ولعل اللفظ هكذا: فإن من أنس بالتقوى حتى صبر على البلاء وقيده عن شهوات الدنيا كان ا لله تعالى ضامناً له بالنجاة).. أو فإن أنس بالتقوى حين صبر على البلاء وقيده عن شهوات الدنيا كان ا لله.. الخ وا لله أعلم.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « البلاء للمؤمن كالشكال للدابة والعقال للبعير »[1]. وليس خروجه من غمرات الشكوك إلى روح الاستيقان، إلا بعلم يطرد به عنه الجهل، وحلم يُسْعِده عليه العقل. والغمرة مأخوذة من الكثرة، والروح مأخوذ من طلب الرائحة.

(فأقام الدنيا مقامها الذي أقامها الله عليه، فاستهان بالعاجلة، وآثر العاقبة، ومهد لطول المنقلب).

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا هَـٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ**﴾ [غافر: ٣٩] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[2]. عرف أن الدنيا ممرُّها إلى خير أو شر، فصبر على سجن نفسه فيها مدة قصيرة، واستهان بما فيها من عاجل لايدوم، لينال في العاقبة أجلا يدوم، مؤثراً لخير العاقبة بعلمه، فصبره على ماينزل من مضض دهره.

(ومهد لطول المنقلب). مهد وطأته مأخوذ من الوطاء. طول المنقلب

---

(١) - لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) - أخرجه المرشد بالله في الخميسية ١٦١/٢ و ١٦٣ و ١٦٩، ومسلم ٢٢٧٢/٤، والترمذي (٢٣٢٤)، وابن ماجة (٤١١٣)، وأحمد ١٩٧/٢، والحاكم ٦٠٤/٣، والطبراني في الكبير ٢٨٩/٦ عن أبي هريرة.

حيث طاب المقيل، والمنقلب في النعيم والظل الظليل.

(ولن يعدم أن يكون في الخلق من قد استبهم عن الفهم، وولج في مضائق الحيرة، أعمى حيران يدعو إلى العمى، ويقول: اعتزل البدع، وفيها اضطجع، ويقول اجتنب الشبهات وفيها وقع).

ولعمرك أن كونه يكون في المكلفين من هو في منزلة البهيمة عند العارفين، لَمَّاقَصَّر في طلب العلم، وكفر بجهله صحيح الفهم، ودخل حيث لايخرج به منه إلا بالعقل الرصين، والعلم المبين، أعمى عن الحق وبصره صحيح، حيران في مضيق الجهل ووراءه فسيح، وهو مع ماهو عليه يدعو غيره إليه، ويقول أعتزل البدع، وفيها وقع، لم يعتزل غير ذوي الألباب، ومن عنده علم الكتاب، واضطجع في ظلمات الباطل، ووقع في شبهات المسائل، وهو متبع لآثار أوليه، مقتد بآبائه وذويه، وطىء على آثار من تقدمه من آبائه، وأخذ بسيرة قومه وأوليائه.

(أكثر ماعنده تقليد أسلافه، وانتمار أكابره، والإنسان على ماجرت عليه تربيته، والإلف إلى ماسبق إلى[1] اعتقاده، ضنين بفراق عادته).

أصل التربية مأخوذ من الزيادة من وقت الولادة في هذا الموضع، ولزوم

(١) - سقط من (ض): إلى. وفي (هـ): إليه.

العادة، ومن سبق إلى اعتقاد شيء رسخ فيه و لم يخرج عن قلبه وفيه، إلا بحد يستأصله، أو بخل يفصله، مع لطيف الأغذية، وشريف الأدوية، من مراهم الأطباء ومياسم العلماء، إن نظروا بعقول صافية، وأمروا بفصول شافية، بلغت القلوب عن عوائدها، وتقلب الحيوان عن مصائدها[1]، حتى يسمح بالمظنون ويجنح عن الرأي المأفون.

(لم يقسم التفتيش قلبه).

أي لم يشغل قلبه تفتيش الأمور، التي معرفتها سبب كل سرور.

(ولم يختر طرقَ[2] البحث فِكْرُهُ).

ولو اختار فكره طرق البحث، لسلم فيها من كل حزن ووعث.

(ولم تميزه المناظرة).

أي لم تفرق بينه وبين غيره.

(ولم[3] يعتوره الاحتجاج).

(١) - في (هـ، ض): عن مزبدها.

(٢) - في (ج): لم يختر طلب طرق.

(٣) - في (ص): فلم.

اي لم يتناوله الاحتجاج، ولايروح منه أهل اللجاج.

(ولم يتنسم روائح اليقين).

مثل ضربه عليه السلام، وعبارة يعرفها من اطلع[1] على فنون الكلام، فيمن أخذ في هذه المحجة[2]، وبعد في هذه الدرجة.

(ولانظر في العلل التي معرفتها نهاية الاستبصار).

يريد النظر في خلق الأجسام التي معرفتها على ماهي عليه تدل على ذي الجلال والإكرام، لأن معرفتها على الحقيقة نهاية الاستبصار، والنظر في العلل يولد العلم بالله تعالى لمن فَهِمَ وعَقَلَ، وهي على ثلاثة أضرب: جسم، وعرض، وجوهر مُتَحَيِّزٌ مشاهد. والجوهر: جزء يتركب منه الجسم، وذلك يوجب التبعيض، وله حظ في المسافة، فلذلك يدخل من قبيل الجسم عنده، ويستغنى بالعبارة[3] عنه بالجوهر، والعرض غير مشاهد عنده ومتحيز، ولايتجزأ ولا له حظ من المسافة، بل له حكم في الوجود.

---

(١) - في (هـ، ض): أطل.

(٢) - في (هـ، ض): الحجة.

(٣) - في (ج): عن العبارة.

والعلة في تسمية الجسم جسماً من اللغة، هو تجسمه وتشخصه وبيانه.

والعلة في تسمية الجوهر جوهراً، هو [كونه] في اللغة أصل الشيء، وشخصه.

والعلة في تسمية العرض عرضاً في اللغة هو اعتراضه في الأوهام، وخروجه عن حدود الجواهر والأجسام، لأن كل اصطلاح جرى ممن يتكلم بلغة مخصوصة، وكان أقرب إلى الموضوع في تلك اللغة، فهو أولى، وماقالته شيوخ المعتزلة في الأسماء الشرعية فتشبيهها باللغة، والحجة عليهم في الجوهر من حيث قالوا بأجمعهم ووافقوا معتزلة الزيدية أن [1] الجوهر مدرك بحاسة العين، ولم يصح عليه اللمس، هذا قولهم، فهذه العلل لابد للمكلف من معرفتها على جملة أو تفصيل، وإلا لم يكن من الناظرين.

(مُتَوَسَّد غَمْرَة الاختلاف وحَيْرة الفرقة).

وتوسد الاختلاف هو مثل ضربه عليه السلام فيمن توسد وسادة لينام عليها، كذلك هذا نام على الاختلاف، وهو يظن أنه مع أهل الاتفاق والائتلاف، نفد عمره، وحار في مذهب الفرقة دهره.

---

(١) - في (هـ، ض): في أن.

(غفل عن تمييز الأمور).

أي لَهَى عن معرفة الأجسام والأعراض، وسهى سهو أهل العلل والأمراض، وقد يقال لمن هذه حاله: عقل عقل ولا لب له ولاعقل على المجاز لاعلى الحقيقة؛ لأنه لو كان كذلك نسب إلى طريقة البُلْه ونسب مافيه إلى الله إلى الوله[1].

(فهو عقيم القلب عن لقاح الهدى).

شبهه بالعقيم الذي لايولد، ولايلقح أحداً فلايولد[2] ولداً لفساد طبيعته، أو لاعتقاد شريعته، وإن كان الله عز وجل من ذلك بريئاً، وكان بنا براً حفياً، لماتفضل به علينا من المصالح، وأنزل إلينا من المنادح[3]، مما ينسب إليه من العقوب، ويومئ لديه من فساد القلوب، وهو مأخوذ من لقاح النخلة ولقاح الفحل، ولقاح الهدى هو ماقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « إن القلوب تلقح بعضها بعضاً الحكمة، فجالسوا أهل الحكمة »[4].

---

(١) - العبارة كذا في جميع النسخ.

(٢) - في (هـ، ض): ولايولد.

(٣) - المنادح: العطايا.

(٤) - لم أقف عليه في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(ظمآن إلى مرشد يحسن تبصرته[1] ، ويريه الحق من وجوهه، وأنه ليس على يقين[2] مما اعتقد، والظن مُسْتَوْلٍ على قلبه، والشبهة مشتملة على لُبِّه، قد سرى فيه داؤه، واشتبه عليه دواؤه[3]، مزدد في حيرته، متزود من ثمرة نتاج إرادته، كثير الاحتياط، قليل النشاط، اعتقد مذهباً عن أهل التقليد والظن، قد وقف بين الصدق والتقليد، استولى على عقيدته ولم يوقن بصدق تجربته، فالشبهة تَرِدُ عليه بالظنون، وتَفِدُ إليه بمالايكون، حتى سرت فيه أدواء الجهالات، وسنمت عنه أطباء المقالات، فتردى[4] في ظلام الحيرة وانياً، وتزود من ثمرة نتاج إرادته فانياً، لايبلغ منزلا ولايقع[5] موئلا، جرى بالاختلاط من لم يكن إلى النظر كثير النشاط [فالحيرة ثمرته، نتاج إرادته الاختلاط][6]، ولكل أمر سبب، والعلل كثيرة، والأسباب متفاوتة، مجتمعة ومفترقة، لايميزها إلا من وطيء أوائل الأمور التي يهجم بها على معرفتها).

إشارة منه عليه السلام إلى سبب مبين، وعلة من جميع العلل تبين، والأسباب متفاوتة ومجتمعة ومفترقة، وذلك السبب هو يقع للحيوان، وتلك

---

(١) ـ في (هـ، ض): يبصر به، وهو تصحيف.

(٢) ـ في (ص): على اليقين.

(٣) ـ سقط من (هـ، ض): واشتبه عليه دواؤه.

(٤) ـ في (هـ، ض): نتردد.

(٥) ـ في (هـ، ض): ولايفزع.

(٦) ـ سقط من (هـ، ض): مابين المعكوفين.

العلة عائدة عليه في كل زمان، عللها الرحمن وسببها لهـدى [1] الإنسـان، وإن تفاوتت الأسـباب في الاجتمـاع والافـتراق، واختلفـت العلـل في الخلـق والأرزاق، فليس يميزها إلا من وطئ[2] أوائل الأمور.

(التي يهجـم بهـا علـى معرفتهـا) أي: إن هـذه الأشـياء أصـولا لاتُعْـرَف بالحَدْس[3]، ولاتكشف إلا بالمعرفة عن اللبس، وليس يفـوز بتلـك المعرفـة إلا من كان على هذه الصفة.

(ولكل شيء منها حَدٌّ متى تُعُدي أسلم متعديه إلى الهلكة، لأنـه جـاز الحدود المضروبة له).

ومن عرف الحد [4] لم يجهل المحـدود ووقـف علـى تلـك الأعـلام، وقـوف الخائف من الاقتحام، في لجج المهالك العظام، فلم يكن متعدياً لحد مضروب، ولامترديا في ظلمات الغيوب.

(فواجب على كل بالغ عاقل أن ينظر في نجاته).

وهـذا يؤكـد ماقالـه عليـه السـلام في أول الكتـاب: (يجـب علـى البـالغ

---

(١) - في (هـ، ض): لهذا.

(٢) - في (ج): إلا رجل وطي.

(٣) - الحدس: التفكر والتأمل.

(٤) - في (هـ، ض): المحدود.

المدرك)، وقد ذكرنا الواجب وشرحناه شرحاً مستقصى هنالك، فلا وجه لإعادته هاهنا، وكذلك تقسيم النظر وتحذير من لم ينظر من الخطر، لأنه يؤديه إلى السلامة، ويسلكه في سبيل الاستقامة.

ولفظة النظر مشتركة يراد بها هاهنا التفكر، ويحتمل أن يكون التأمل والبحث، وهو من فعل الناظر، لأنه يمكنه أن يختار ضده، لأنه قادر على ذلك، ولايجوز أن يضطره الله تعالى إلى النظر [1]، بل يجوز منه تعالى تنبيهه عليه، لأنه لو لم ينبهه عليه كان إغراءً له، وتكليفاً لمالايطاق، وتلك طريق نجاته، وسبب سلامته من عذابه.

(ولن ينتفع ناظر بنظره إلا بسلامة قلبه من الزيغ، وطهارته من الهوى، وبراءته من أُلْف العادة التي عليها جرى، والقصد بإرادته ونيته إلى العدل والنَّصَفَة).

لن ينتفع متفكر بتفكره حتى يكون سليماً من الزيغ، وهو الميل عن الحق إلى الباطل، ومتطهراً من درن الهوى القائد له إلى حب هذه الدنيا، التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[2].

---

(١) ـ في (هـ، ض): أن يضطره إليه تعالى.

(٢) ـ أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٢٥٧/٣ عن حذيفة ضمن حديث، ثم قال: ذكره رزين ولم أره في شيء من أصوله، وهو بلفظه في النوافح العطرة (٦١٨).

وسنبين بعد الفراغ من شرح هذا الكتاب شروطاً تتعلق به من جهة أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونختم الكتاب بها. ولايقول أحد هي خارجة من شرح هذا الكتاب، بل هي فيه وشرح لشروط الهادي عليه السلام المجلة لمعاينة.

(وبراءته من أُلْف العادة التي عليها جرى) يكون القلب مبرأ من كل عادة له تقدمت من طريق الجهل، التي كان عليها، والغفلة التي آل إليها.

(والقصد بإرادته ونيته إلى العدل والنصفة)، القصد هو اعتماده بإرادته ونيته، وهذه ثلاث كلمات بمعنى واحد، وإن كانت العبارة فارقة بينها على مقتضى اللغة إلى العدل في لفظه ولحظه وحركته وعونه لينتظمه ذلك، والنصفة في كل مايتعلق به في نفسه وغيره.

(وإعطائه كل أمر من الأمور بقسطه، والحكم عليه بقدره).

أي يعطي كل شيء من ذلك حقه من نفسه، ويحكم على ذلك الأمر بقدره، ولايكون جائراً في الحكم ولاسائراً في الظلم.

(وأخذ نفسه بالوظائف المؤدية له إلى النجاة).

أي يمرن نفسه على فعل الطاعة المؤدية له إلى النجاة من العذاب.

(وحراسة قلبه من الأمور المُسْلِمة له إلى الضلال).

وتلك الأمور هي: الجهل، والهوى، وإصغاء القلب إلى شهوات الدنيا، فمن حَرَسَ نَفْسَه منها نجا؛ لأنها تُسْلِمه إلى الضلال.

(والحائلة بينه وبين حُسْنِ الاصطفاء، وإصابة[1] الصواب، وترك التقليد).

وهذا على مجاز الكلام، وإن كانت لاتعقل شيئاً، بل أنه إذا اختار هذه الأشياء وفعلها بالقصد والنية والميل إليها بالكلية، قيل ذلك مجاز لاحقيقة، لأنه لايكون مصطفى حتى يصفو، ويكون مصيباً بنيته ومنبياً على جِمَاع جهله، ويترك التقليد، ويعتمد على النظر والتقييد، قال بعض أهل النّحلة فيما يتسمى بالتصوف، وكان ممن يظهر التَّقَشُّف، وروي أنه الصاحب إسماعيل بن عباد[2]:

ولست أنحل هذا الإسم غير فتى   صفي فَصُوفي حتى لُقّب الصوفي

---

(١) ـ في (ص): واختيار الصواب.

(٢) ـ إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني المعروف بالصاحب ابن عباد، أحد العلماء الأدباء المشاهير، ولد سنة (٣٢٦ هـ) في الطالقان من أعمال قزوين، واستوزره مؤيد الدولة ابن بويه، وكان من نوادر الدهر علماً وفضلا، وجودة تدبير، له تصانيف جليلة، وكان يجل السيد الإمام أبي طالب (المؤلف) وأخيه المؤيد بالله ويقصدهما بالمسألة ويقربهما في المجالسة، توفي رحمه الله بالري سنة (٣٨٥ هـ)، ونقل إلى أصفهان ودفن بها. انظر: معجم الأدباء ٢٧٣/٢، الأعلام ٣١٦/١.

(ويكون طالباً لقيام الحجة).

أي أن يكون ناظراً، أي منتظر الإمام، حتى يقوم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(لازماً لمنازل القرآن، متمسكاً به، مؤثراً له على ماسواه ملتمساً للهدى فيه [1]).

معناه أن يكون الإمام مؤثراً له على ماسواه من الأنام [2].

(فلن يعدم الهدى مَنْ قَصَدَه [3]).

أي لن يعدم الهدى من قصد الإمام اللازم لمنازل القرآن، لأنه له ترجمان، فمن سأله نجا، ومن اتبعه اهتدى.

(لأن الله جل ذكره ضمن لمن اتبع هداه الا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة).

---

(١) - سقط من (هـ، ض): ملتمساً للهدى فيه.

(٢) - في (ج): معناه أن يكون الإمام لازماً لمنازل القرآن، متمسكاً بعصمة الإمام على ماسواه من الأنام.

(٣) - في (ج): من قصد قصدَه. والمثبت من نسخة المتن ضمن مجموع كتب الهادي.

نِعْم الضَّمِين ا لله لمن اتبع هداه، الا يضل عن طريقة الأبرار، ولايزل فيشقى في الآخرة مع أهل النار.

(وبمثل هذه الشروط يستبان البرهان، ويُسْتَشَفُ الغامض من الصواب، وتستبان دقائق العلوم).

وشرح الشروط نختم الكتاب بذكرها، والشروط هي علامة مؤثرة لها حكم شرعي عقلي، لايخرج عنها من شرطت عليه، ولها مَسَاغ في اللغة مأخوذ من شرط الحجام.

(يستبان البرهان) أي يُعْرَف الحق بها وعليها.

(ويستشف الغامض من الصواب)، أي يُلْحَظ بالاجتهاد، وهو مأخوذ من الشَّف، وهو الثوب الرقيق الذي بعد على الغير مبلغه من الصواب الذي أصبت به الحق.

(ويستخرج[1] دقايق العلوم) أي يطلع على مادق من العلوم العقلية والشرعية.

(ويهجم على مباشرة اليقين بربه).

أي يطل على مايوقن به على حقيقة الربوبية.

---

(١) - في (هـ، ض): ويستثير. وتقدم في المتن: تستبان.

(فيهتك الشكوك عن قلبه).

بعلم الحق يقطع بذلك أسباب الشك عن قلبه.

(ويزيد بنيته).

أي يعان على ذلك بخاطر في نيته ينبهه من سِنَةِ غفلته.

(ويصعد في درجات اليقين بربه).

رقا في الملكوت، لما صفى عقله نظر في قدرة الحي الذي لايموت، فاعترف بالعبودية، لما انكشف له حقائق الربوبية بصعوده في درجات اليقين إلى عليين.

(أولئك أهل العقول الراجحة والفِطَن الصحيحة، والأراء السليمة).

هم الذين عقلوا عن أمر الله ونهيه، فرجحت عقولهم، وصححت فطنتهم، من مرض الجهل، وسلمت آراءهم من الفساد والحيل.

(أولئك بقية الله في خلقه، وأحباؤه من عباده، وخلصاؤه من بريته، أوتاد أرضه، ومعادن دينه).

أي أبقى الله ذكرهم في خلقه أحياء وأمواتاً، كما قال أمير المؤمنين: « العلماء باقون مابقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة » .

(وأحباؤه من عباده)، هذه الصفة لاتليق با لله تعالى في الحب والبغض إلا على سبيل المجاز، وإن كان قد ورد به السمع، فلامساغ له في العقل.

(وخلصاؤه من بريته) لم يستخلصهم حتى خلصوا، ولم يَسْتَصْفِهِمْ حتى صفوا، خلصوا من الذنوب، وصفوا من كدر العيوب، فنالوا بهذه الصفة من ا لله تعالى القرب والمعرفة، ونيل الكرامة والزلفة.

(من بريته) من برأه ا لله وذرأه اسم لذلك سماه، وبينه لنا ففهمنا معناه.

(وأوتاد أرضه) أحدهم شبيه بالوتد من الجبال التي تشد الأرض من الزوال، فهم للخلق أوتاد، ولهم أعماد، لايزولون ماوجدوا، ولايخلون مافقدوا. (ومعادن دينه) أحسن من معادن الجواهر، وأزين من كل رائق للعيون فاخر، معادن الدين، وسَدَنة علم رب العالمين، وسلالة النبيئين، وأئمة المؤمنين صلوات ا لله عليهم أجمعين.

انتهينا إلى شرح الشروط التي تقتضيها الجملة التي أوردها عليه السلام في ذكر مايكون عليها من المؤمنين ذوي الاستنباط لغامض العلم بالعقل الرصين، والاحتياط لنجاة المؤمنين، ومن يكون حجة في زمانه على الأمة بعد النبيئين والأئمة، من يلجأ إليه في الفتوى ويلجأ إليه في الدين والدنيا.

وكان أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني[1] رحمه ا لله تعالى يذهب إلى

---

(١) ـ السيد الإمام الحافظ شيخ الأئمة أحمد بن إبراهيم الحسني المعروف بأبي العباس، قيل: لم يبق شيء من فنون العلم إلا طار في أرجائه، وهو تلميذ الإمام الناصر الأطروش، وشيخ الإمامين ـ

أن الفتوى لاتحل إلا لمن قد عرف طرفاً من الأصول والفروع، وعرف المسائل التي اختلف فيها الأئمة والفقهاء من العامة، وعَرَف مسائل الاجتهاد، ويكون عالماً بجملة من اللغة العربية وحقائقها، ومجازها، والأسماء اللغوية، والشرعية، والعرفية، ومااللذي يجوز أن يراد بالعبارة الواحدة، ومااللذي لايجوز أن يراد، ويعرف هل يجوز أن يكون في القرآن مجاز، ومتى يحمل الخطاب من الله على المجاز، ومتى يحمل على الحقيقة والمجاز معاً، ومتى يدخل التعارض في الكلامين، وكذلك في الاجتهادين، وما يتصل بهذا الجنس من طرف من علم النحو والإعراب، ومافي الفقه من الخاص والعام، وماحقيقتها، ويعرف مقتضى العموم، ويعرف مااللذي يقتضي ظاهر الأمر والنهي، وإذا تعارض الظاهران وكانا يفيدان حكماً شرعياً كيف يكون الحكم فيهما؟ ومايتصل بهذا الباب من أصول الدين، حتى يعلم مايجوز على الله ومالايجوز، ولايحمل ظاهر القرآن على خلاف مادلت عليه العقول، فإن هذا قد ضل فيه كثير من الأمم، وزَلّت عنده أقدام من جهله وظلم، ولم نقل ذلك ولم نشرط هذا الشرط من أولئك، ولاشدد بهذا التشديد إلا نهياً للأمة من التقليد، وزجراً لمن يفتي بالتوهم من الكتب في شواذ المسائل [1]، وحظراً على غير من يعلم غير طائل، فليتق الله تعالى

الجليلين أبي طالب والمؤيد بالله، توفي سنة (٣٥٣ هـ). انظر: طبقات الزيدية ـ خ ـ، مطلع البدور ـ خ ـ، أعيان الشيعة ٤٦٩/٢، فهرس أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم ٢١ رقم (٣٤).

(١) - في (ض): في سواد البياض.

من سَمَحَ[1] في هذه الطريقة، وأفتى في العلم على غير حقيقة.

وأما قوله عليه السلام[2]: (فأما أحكامهم فماكان جميعاً منها حقاً فإنه يقر وماكان باطلا ينقض) يعني أحكام أهل البغي إذا صارت في يد من حكم لهم بها، وظهر الإمام عليهم فاستولى على بلادهم، فإذا رفع إليه حكمهم فَعَل ذلك، فإما أن يولي قضاة المخالفين، ويجعل أحكام الشريعة إلى غير أهل الدين، فهذا مالايحل له أن يفعله في المسلمين، لأن هذا يكون تشريفاً لهم وإلزاماً، ورفعاً لمنزلتهم وإعظاماً، وعليه أن يعزلهم عن القضاء، ويهينهم على قدر مايرى، ليكون ذلك أقرب إلى الولاء والبراء، حتى يسلس له في قياده، ويعرف منه الرجوع عن فساد اعتقاده.

ولقد علمنا في زماننا ورأينا ونقل عن غير واحد إلينا من هؤلاء الشافعية والحنفية من التّنقير في الفروع والإمعان في الاستدلالات فيها والتضليل لبعضهم بعضاً، والتشديد في ذلك، مع إجماعهم أن بعضهم لايرى الصلاة خلف من عُلِم منه خلافاً في ذلك، مع إجماعهم أن الفروع أهون مأخذاً وأبعد من المآثم، والأصول هي تقتضي التشديد، فقالوا فيمن اشترى عشرين بيضة ووجدوا فيها بيضة مذرة قولا بسيطاً[3]. وقالوا فيمن اشترى شاة

(١) - سمح بمعنى ذهب ومضى.

(٢) - لم أعرف من هو القائل، ولعله يعني الإمام الهادي ويكون هذا القول مشهور عنه في بعض كتبه.

(٣) - يعني مبسوطاً في بطون الكتب.

وجدها مصراة، فأوردوا فيها من المسائل ماملأ الأوراق، وتجاوز الإسهاب والإغراق، فإذا جاءوا إلى مسائل الأصول وذكروا أدلتها وبيان مانبه الله على عظمته ووحدانيته، وعلى البعث والنشور، وعلى صدق النبيئين والمرسلين، وعلى إثبات معجزاتهم وآياتهم، وجدتهم خرساً لاينطقون إلا همساً.

ولو سألت عراقياً فقلت: لم قال أصحاب أبي حنيفة في رجل صلى الظهر خمساً كذا وكذا، وكيف يكون الظهر خمساً والظهر في الشريعة أربع ركعات لاخمس؟ فقال: فقرر وأورد فحَرَّر، وثبت فيه الحمية والأبية والعصبية.

وكذلك إن سألت الشافعية لم قال المزني في أول كتابه: « هذا ما اختصرت من علم الشافعي ». والعلم هو الذي في القلب، وكيف يختصر ماني القلب؟ ولم قال بعد ذلك ـ مع إعلانه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ـ: وقد جوز الشافعي تقليد الصحابة في رسالته القديمة، وقال: إذا اختلفوا أخذ بقول الأئمة فيهم، أو بقول أعلمهم. ورجحه على القياس، وقال في موضع: قلدته تقليداً لعثمان.

وكيف يرضى بهذا عاقل يريد الله واليوم الآخر وإنما يرضى بهذا من يتسوق به عند العوام، ويبتغي به جاهاً عند الطغام، ولقد ذم الله تعالى من لم يقم بالحجة والجدال، وغفل غُفول ربات الحجال ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] .

وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ونظايرها من القرآن كثير.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ منه فقد أخذ بحظ وافر » [١].

وقد بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعلم الناس الخير فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الأُمِّيِّيْنَ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] .

فمن كان عالماً وعلم ماعنده فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا روي عن المسيح أنه قال: « من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّم دُعِي عظيماً في ملكوت السموات ».

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ثلاثة لايستخف بحقهم إلا منافق بَيِّن النفاق: الإمام المقسط، وذو الشيبة في الإسلام، ومُعَلِّمُ

---

(١) ـ هذا جزء من حديث أخرجه ابن حبان ١/٢٨٩ (٨٨)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجة (٢٢٣)، والطحاوي في مشكل الآثار ١/٤٢٩ عن أبي الدرداء. وقال ابن حجر في التلخيص ٣/١٦٤: حديث العلماء ورثة الأنبياء. أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي الدرداء، وضعفه الدارقطني في العلل، وهو مضطرب الإسناد قاله المنذري، وقد ذكره البخاري في صحيحه بغير إسناد.

الخير »[1].

وإذا علم العاقل أن شيئاً يدنيه من الواجبات وتَرْك المعاصي وغلب على ظنه، ويكون قلبه عند ذلك أدنى إلى ماذكرناه وأقرب، تمكن من فعله وجب عليه، كمقامه وخروجه إلى محله، كان أقرب إلى فعل الواجبات، وترك المعاصي، وأمكنه إليها، وجب عليه كذلك، وصار فرضاً لازماً، لأن ماقرب من واجب أوترك قبيح فهو واجب، وكذلك الصناعات أو معاشرة القرباء ومجالسة الأولياء والأصفياء.

وروي عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من تعلم العلم ليباهي به ويماري به السفهاء، ويماري به في المجالس لم يَرِح رائحة الجنة »[2].

وفي بعض الأخبار: « يؤمر بالعالم الفاسق إلى النار قبل عبدة الأوثان »[3].
وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لايدخل الجنة من في قلبه من الكبر وزن حبة من خردل »[4].

---

(١) - أخرجه المرشد بالله في الخميسية ٢/٢٤٠، والطبراني في الكبير ٨/٢٣٨، والخطيب في تاريخ بغداد ٨/٢٧ عن أبي أمامة.

(٢) - الحديث روي بصيغ مختلفة وطرق متعددة انظره في موسوعة أطراف الحديث ٨/١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) - لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٤) - أخرج نحوه مسلم (٩١/١٤٧)، و(١٤٨)، وابن ماجة (٤١٧٣)، وأحمد ١/٤١٢، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨)، وابن حبان (٢٢٤) عن عبدالله بن مسعود بلفظ: لايدخل ـ

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إذا كان يوم القيامة فأول من يُدعَى بِرَجُلٍ جمع القرآن، فيقول الله له: عبدي ألم أعلمك ماأنزلت على رسولي؟ فيقول: بلى يارب. فيقول: ماذا عملت فيما علمت؟ فيقول: يارب كنت أقوم الليل وأصوم النهار. فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارىء، وقد قيل. إذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ثم يدعى بصاحب المال فيقول الله عز وجل: عبدي ألم أنعم عليك، ألم أفضل عليك، ألم أوسع عليك؟ فيقول: بلى يارب. فيقول: فماعملت فيما آتيتك؟ فيقول: يارب كنت أصل الرحم والصديق وأفضل. فيقول الله تعالى: كذبت، بل أردت أن يُقَال: إن فلاناً جواد، فقد قيل. إذهب فليس لك عندنا شيء. ويؤتى بالمقتول فيقول الله تعالى: عبدي فيما قتلت؟ فيقول: يارب فيك وفي سبيلك. فيقول: كذبت بل أردت أن يقال فلان جريء، فقد قيل. إذهب فليس لك عندنا شيء » .

قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على ركبتيه فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تعالى تسعر بهم النار.

والعالم من أهل البيت عليهم السلام مع ظهور ورعه وفقهه أولى من نقلت عنه الأخبار، ولايبعد ذلك من علماء شيعتهم على هذا الشرط، لأن

-

الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر.

مأخذ الشريعة منهم أولى، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »[1].

وروى أيضاً في الخبر الظاهر أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى »[2].

وقال في أمير المؤمنين عليه السلام خاصة: « من أحب أن يتمسك بقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله تعالى في جنات عدن فليتمسك

---

(١) ـ تقدم تخريج هذاالحديث.

(٢) ـ أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٥٥٥/٢ بلاغاً، وأخرجه الإمام أبو طالب (المؤلف) في الأمالي ١٠٥، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٥١/١ و١٥٦، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ١٣٣، والحموئي في فرائد السمطين ٢٤٦/٢ رقم (٥١٩)، والطبراني في الكبير ٤٥/٣ رقم (٢٦٣٦)، والحاكم في المستدرك ١٥١/٣ و٣٤٣/٢ عن أبي ذر الغفاري، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٠٦/٤، والطبراني في الكبير ٣٤/١٢ (١٢٣٨٨)، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ١٣٢، والطبري في ذخائر العقبى ٢٠، وقال: أخرجه الملاء. عن ابن عباس.

وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٥٤/١، والطبراني في الصغير ٨٥/٢ (٨٥٢) عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة المطبوعة مع المجموع ٤٦٤، والطبري في ذخائر العقبى ٢٠ عن علي، وقال: أخرجه ابن السر ي.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩١/١٢ عن أنس بن مالك.

وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ٢٣٣ عن سلمة بن الأكوع، بألفاظ مختلفة.

بحب علي »[1] عليه السلام.

ومثل ذلك كثير يطول شرحه، قد رواه المخالف والموافق.

وروي عن جابر الأنصاري أنه سئل عن علي عليه السلام فقال: ذلك خير البشر.

وأما الحسن والحسين فهما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الصحابة يدعوهما بذلك.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « كل بني بنت ينتمون إلى أبيهم غير ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما »[2].

وقال فيهما: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما »[3] وهذا يقتضي أنهما سيدا المتقين والعابدين والزاهدين والعالمين، لأن أهل الجنة من المكلفين هذه صفاتهم، وروى أيضاً: « الحسن والحسين

---

(١) - أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٣٨٧/١ من طريق الدارقطني عن الحسن بن علي بن زكريا عن الحسن بن علي بن راشد عن شريك عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم.

(٢) - أخرجه الحاكم ١٦٤/٣ عن جابر بلفظ: لكل بني أم عصبة ينتمون إليهم إلا ابني فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما. وصححه، وأخرج نحوه الخطيب ٢٨٥/١١ عن فاطمة، والطبري في ذخائر العقبى ١٢١ عن عمر.

(٣) - رواه الإمام الهادي في كتاب العدل والتوحيد ٦٩ (رسائل العدل والتوحيد) مرسلاً، وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن ٧٨، والحاكم ١٦٧/٣ وغيرهم عن ابن عمر.

إمامان قاما أو قعدا »[1].

وروي أيضاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار »[2].

وروي عن أبي هريرة أيضاً قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: « أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم »[3].

هذا آخر ماانتهينا إليه في هذا الفصل الذي شرطناه من الأخبار، وملنا إلى الاختصار لأنها عند أهل الأحاديث كثيرة، وفي كتب العلم جمة غفيرة، ولايسعها كثير الأوراق، ولا هذا موضع المَدّ بها والإغراق، لأمر في كتابنا هذا أشرنا إليه، ولعذر من استيفائها في فضلهم وقفنا لديه، وإلى الله سبحانه نرغب في الثواب إنه كريم وهاب.

اللهم إليك تقربت بشرح الكلام، رجاء لمايحصل لي منك عليه من الثواب والإنعام، وصرفت همتي فيه عن أيادي الأنام، واعتمدتك ليوم فقري ياذا

---

(١) ـ هذا الحديث متداول مشهور عند أصحابنا، و لم أقف له على سند.

(٢) ـ أخرج نحوه الحاكم في المستدرك ١٦٦/٣ عن سلمان وله شواهد كثيرة. انظر عنها فضائل الخمسة ٢٤٩/٣ ومابعدها.

(٣) ـ أخرجه أحمد والطبراني كما في مجمع الزوائد ١٩٦/٩، والحاكم ١٤٩/٣ عن أبي هريرة. قال المقبلي في الأبحاث المسددة ٢٤٢: وفي معناه عدة أحاديث بعضها يعمهم وبعضها يخص الحسن والحسين فمجموعها يفيد التواتر المعنوي، وشواهدها لاتحصى، فمن كان قلبه قابلا فهو من أوضح الواضحات في كل كتاب ومن ينبو قلبه فلامعنى لمعاناته بالتطويل. انتهى بتصرف.

الجلال والإكرام، فاغفر لي جميع الأثام، وتقبل مني ما أردت به وجهك في هذا المقام، وماعملت فيه من خطأ أو زلل أو خالطني مالايرضيك مني فيه عند العمل، فتغمده بعفوك، والطف لي بالعون على أداء شكرك، والانتباه في أوقات الغفلة لذكرك، وصل على نبيك الأمين وأهله الطيبين الأخيار وسلم تسليماً.

تم وكمل وانتهى شرح البالغ المدرك بعون الله ولطفه وتوفيقه وإعانته فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلا حمداً دائماً سرمداً لايحصى وله الشكر على ذلك والفضل على ماهنالك وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى عترته الطاهرين السابقين والمقتصدين والحمد لله رب العالمين.

*****


الفهارس

فهرس الآيات مرتبا على حروف المعجم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ..﴾ الآية [الحج: ١] ٥٥

﴿أَلاَ للهِ الدِّيْنُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] .... ١٠٩، ١٠٧

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]................ ٧٣

﴿أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ..﴾ [ق: ٦]................................ ٤٣

﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِيْنٍ﴾ [الزخرف: ١٨].................. ١٤٥

﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].. ١٠٩

﴿إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] ١٢٨

﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِيْنَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ١١٣

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ ..﴾ [الحج: ٥] ٦٦

﴿فَاذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِي وَلاَتَكْفُرُوْنَ﴾ [البقرة: ١٥٢] ٦٨

﴿قُلِ انْظُرُوْا مَاذَا فِيْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].............................. ٥٠

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا ..﴾ [الإسراء: ٨٨] ٧٣

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَيُظْلَمُوْنَ فَتِيْلاً﴾ [النساء: ٤٩] ٦٤

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالاً الَّذِيْنَ ضَلَّ ..﴾ [الكهف: ١٠٤]. ١٠٧

﴿كَانُوْا لاَيَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٧٩]................ ٥٨

﴿لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦].. ١٠٩

﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنَحْيَا ..﴾ الآية [الجاثية: ٢٤] ٤١

﴿هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الأُمِّيِّيْنَ رَسُوْلاً مِنْهُمْ..﴾ [الجمعة: ٢] ١٤٨

﴿وَإِذَا النُّفُوْسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].. ٥٩

﴿وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلاَتَفَرَّقُوْا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ٩٧

﴿وَتَعَاوَنُوْا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] ٥٨

﴿وَسِيْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ..﴾ [الزمر: ٧٠ - ٧١] ٦٤

﴿وَقَالُوْا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَى..﴾ [البقرة: ١١١] ١٤٦

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَتَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ١٠٧

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ ..﴾ [الإسراء: ٤] ١٠٧

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ..﴾ [آل عمران: ١٠٤] ٥٨

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُوْدَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيْهَا﴾ [النساء: ١٤] ٦٣

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِيْنَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوْهُهُمْ﴾ [الزمر: ٦٠] .... ١٠١، ١٠٦

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيْغاً﴾ [النساء: ٦٣] ١١٣

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ﴾ [النساء: ١] ٣٣

﴿يَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ١٠٦

﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُوْرِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ١١٨

فهرس الأحاديث مرتبا على حروف المعجم

أُبي أقرؤكم.. ٨٦
أصحابي كالنجوم.. ٨٤
أعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل.. ٨٦
أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ١٥١
أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي......................... ٧٩
إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه.............................. ٩٩
إذا كان يوم القيامة فأول من يُدعَى بِرَجُلٍ جمع القرآن.. .... ١٤٨
إضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: لاتظلموا عند قسمة مواريثكم.. .... ١٠١
إن الرجل يكون من أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج، ومايجزى.. .... ٥٣
إن القلوب تلقح بعضها بعضاً الحكمة، فجالسوا أهل الحكمة.................... ١٣٣
إن في جسد ابن آدم بضعة إذا صَلَحَت صَلَح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد........... ٥١
إن هذا سيريد الأمر بعدي ـ يعني معاوية ـ فمن أدركه منكم وهو يريد فليبقر بطنه......... ١٠٠
إنما يُدْرَكُ الخيرُ كله بالعقل ولادين لمن لاعقل له................................... ٥١
إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله........ ١٤٩, ٨٤
البلاء للمومن كالشكال للدابة والعقال للبعير ١٢٨
بم تقضي ؟ قالها لمعاذ ٨١
ثلاثة لايستخف بحقهم إلا منافق بيِّن النفاق: الإمام المقسط، وذو الشيبة في الإسلام..... ١٤٧
حب الدنيا رأس كل خطيئة ١٣٦
الحسن والحسين إماماان قاما أو قعدا.. ١٥١
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما......................... ١٥٠

خرج هو وأمير إلى السوق ليشتري قميصاً ومعه اثني عشر درهما............................ ١١٥
خير الطلائع أربعمائة.. ١١١
دُعِيَ إلى طعام يسير، فأكل منه الـجَمُّ الغفير، والعدد الكثير ٧١
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.. ١٢٨
ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها ناجية إلا فرقة ٩٦
ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة فإنها هي الناجية................ ٩٦
العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقوده، وأمثالهم في القلوب موجودة (علوي)....... ١٢٠
العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً وإنما ورثوا العلم فمن ١٤٦
علي أقضاكم.. ٨٥
قِوام المرء عقله، ولادين لمن لاعقل له، ولاعقل لمن لادين له ٥١
كان يبعث السُّعاة والعمال إلى النواحي، ويأمرهم بأخذ الصدقات وسائر الحقوق............ ٨٠
كان يخطب إلى جنب جذع قبل أن ينصب المنبر، فلما نُصِبَ وتحول............................. ٧١
كان يسير العَنَق، فإذا وجد فجوة نص، وأنه كان يَغُطّ إذا نام................................. ٩١
الكبرياء رداء الله.. ١١٧
كل بني بنت ينتمون إلى أبيهم غير ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما.......................... ١٥٠
كل مولود يولد على الفطرة.. ٦٥
لاتعجبوا بإسلام امرء حتى تعرفوا كنه عقله ٥٢
لاتكونوا إمعة تقولوا إذا أحسن الناس أحسنا وإذا أساء الناس أسأنا........................ ٩٧
لاتنتطح فيها عنزان.. ٨٧
لاتنتفعوا من الميتة بشيء... ٨٧
لاتنظر إلى صغر الذنب، وانظر إلى عظم من عصيت... ٦٢
لاسبق إلى في خُف، أو حافر، أو نصل، أو جناح.. ٩٢
لايدخل الجنة من في قلبه من الكبر وزن حبة من خردل ١٤٧
لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين.. ٥٣
لَيدخلن علي رجل يموت على غير ملتي ١٠٠

ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر الغفاري............... ٨٦
ما أنا عليه وأصحابي.. ٩٦
ما اكتسب أحد قط مثل فضل العقل، يهدي صاحبه إلى هدًى، ويرده عن ردى............ ٥٢
ماتم دين إنسان قط حتى يتم عقله.. ٥٢
ما لم يعملوا بالمعاصي، ثم يزعمون أنها من الله(حين سئل متى يرحم الله عبيده؟)......... ١٠١
ماهلكت أمة قط حتى يكون الجبر قولهم.. ١٠١
مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى.................. ١٤٩
من أحب أن يتمسك بقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله.................................... ١٥٠
من أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار.. ١٥١
من تعلم العلم ليباهي به ويماري به السفهاء، ويماري به في المجالس لم يَرِح رائحة الجنة.... ١٤٧
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع...................... ٥٨
من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة.. ٨٨
من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.. ٨٨
من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيراً منقاره من ذهب،.................... ٩٣
من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة.. ٥٩
من كنت مولاه فعلي مولاه.. ٧٨
الناس يعملون ويعطون أجورهم على قدر عقولهم.. ٥٢
هلا انتفعتم بإهابها... ٨٧
وضع يده في ميضأة ففار الماء من بين أصابعه حتى استقى منه ٧١
ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه ٨٧
يؤمر بالعالم الفاسق إلى النار قبل عبدة الأوثان.. ١٤٧
يد الله مع الجماعة... ٨٦

فهرس أعلام

أبي بن كعب ٨٦

أحمد بن إبراهيم أبو العباس الحسني ١٤٢

أحمد بن الحسين الإمام المؤيد با لله ٥٩

أحمد بن حنبل ٩١، ٩٣

أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ٩١

أسلم مولى عمر ٥٢

أمامة ١٠١

أنس بن مالك ٥١، ٩١، ٩٣، ١٠١

إبراهيم بن عبدا لله (ع) ١٠٤

إبراهيم بن عبدالواحد البلدي ٩٣

إبراهيم بن محمد بن يحيى الأسلمي ٩٤

إسحاق بن راهويه ٩١

إسماعيل بن أحمد الجرجاني ٩٢

إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب بن عباد ٣٨، ١٣٨

امرء القيس بن الحارث الكندي ٧٣

جابر بن عبدا لله الأنصاري ٥١، ٩٩، ١٥٠

جابر بن يزيد الجعفي ٩٥

الجراح بن منهال الجزري ٩٥

جعدة بنت الأشعث بن قيس ١٠٣

جعفر بن محمد الصادق ١٠٣

جعفر بن محمد الطيالسي ٩٣

جميع بن حارثة الأنصاري ٥١

الحاكم أبو عبدا لله ٩١

حجر بن عدي ١٠٢

حذيفة بن اليمان ٩٧، ٩٩

الحسن بن أبي الحسن البصري ١٠٠

الحسن بن زياد اللؤلؤي ١٠٥

الحسن بن علي الناصر الأطروش ٥٥

الحسن بن علي بن أبي طالب ٩١، ١٠٣، ١٥٠، ١٥١

الحسن بن عمارة ٩٥

الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ٩١، ١٠٣، ١٠٤، ١٥٠، ١٥١

حمل بن مالك ٨٠

حميد ٩١

خالد بن عبدا لله القسري ٩٢

الخليل بن مرة ١٠١

داود الأصبهاني الظاهري ٥٤، ١٠٧

رجل من خثعم ١٠١

الزبير بن عبدالواحد ٩٣

زياد بن معاوية النابغة الذبياني ٧٣
زيد بن أسلم ٥٢
زيد بن علي (ع) ١٠٤
سالم بن عبد الله بن عمر ٥٣
سحبان بن وائل ٧٣
سفيان الثوري ١٠٣
سليمان بن حرب ٩٢
سليمان بن علي عن أبيه ٩٩
سليمان بن عمرو النخعي ٩٥
سودة بنت زمعة ٨٧
الشافعي ٩٤، ١٠٢، ١٤٥
شريك بن عبدالله النخعي ١٠٠
شهر بن حوشب ١٤٧
طاووس ١٠٠
عبادة بن الصامت ٩٩
عبدالجبار بن أحمد الهمداني ٦٢
عبدالرحمن بن عوف ٨٠
عبدالرزاق الصنعاني ٩٣
عبدالكريم البصري ٩٤
عبدالله بن المحزور ٩٥
عبدالله بن عباس ٩٩، ١٠١، ١٥١
عبدالله بن عمر ٥٢، ٥٣، ١٠٠
عبدالله بن مسعود ٩٨، ٩٩
عبيدالله بن زياد ١٠٤
عثمان بن عفان ١٤٥
علي بن أبي طالب (ع) ٥١، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٧، ١٤١، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١
علي بن عبدالله بن عباس ٩٩
علي بن محمد أبو الفتح البستي ٤٩
عمار بن رجاء ٩٢
عمر بن الخطاب ٥٢، ٨٣، ٩٤، ٩٨
عمر بن عبدالعزيز الأموي ١٠٢
عمير ٩٠
عم جميع بن حارثه ٥١
عيسى بن مريم (ع) ٥٠، ٧١، ١١٥، ١٤٦
غياث بن إبراهيم ٩٢
فاطمة الزهراء (ع) ١٥٠، ١٥١
القاسم بن إبراهيم (ع) ٦٢، ١٠٤
قتادة ٩٣
قس بن ساعدة ٧٣
قيس بن أبي حازم ٩٠
كثير عزة ١٠٢، ١٠٣
ليث ١٠٠
مالك بن أنس ٩٤، ١٠٢
المتنبي ٩٢
محمد عن محمود بن لبيد ٩٩
محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ٨٩

محمد بن الحسن الشيباني ٩٥، ١٠٥
محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ٥٤
محمد بن سعيد بن أبي قيس ٩١
محمد بن عبدالله النفس الزكية ١٠٤
محمد بن علي الباقر ١٠٣
محمد بن مسلم أبو الزبير المكي ٥١
محمد بن مسلم الزهري ٥١، ٥٣، ١٠٤
محمود بن لبيد ٩٩
المزني ١٤٥
مسلم بن الحجاج القشيري ٨٩
معاذ بن جبل ٨١، ٨٦، ١٤٧
معاوية بن أبي سفيان ٩٩، ١٠٢
معاوية بن قرة ٥٢
معمر بن راشد ٩٣
مكحول ١٠١
المهدي العباسي ٩٢
موسى بن عمران (ع) ٧١، ٧٩، ١١٥، ١١٦
نافع مولى ابن عمر ٥٢، ٥٣
هارون (ع) ٧٩
يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق (ع) ٣١، ٣٣، ٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٨، ١٣٧
يحيى بن زيد بن علي (ع) ١٠٤
يحيى بن معين ٩٣
يعقوب بن إبراهيم القاضي أبو يوسف ٩٥، ١٠٥
أبو الدرداء ٩٩
أبو بكر ٨٠، ٩٠، ٩٨
أبو حنيفة ٩٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٤٥
أبو ذر الغفاري ٨٦، ٨٧، ٩٩
أبو زرعة ٩١
أبو سعيد الخدري ٩٩
أبو غالب ١٠١
أبو نعيم ٩٢
أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي المعتزلي ٣٩
أبو هريرة ٨٣، ١٠١، ١٤٨، ١٥١

قائمة المراجع

الأبحاث المسددة في فنون متعددة، لصالح بن مهدي المقبلي/ صححه وأشرف عليه القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني/ وزارة الإعلام والثقافة - اليمن/ ط ١.

الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين / دار التراث اليمني / ط ١.

أخبار أئمة الزيدية في الجيل والديلم ــ نصوص تاريخية جمعها وحققها فيلفرد ماديلونغ Wilferd Madelung يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت/ دار النشر فرانتس شتاينر بفيسباد IN KOMMISSION BEI ١٩٨٧ BEIRUT FRANZ STEINER VERLAG. WIESBADEN

أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

الأسماء والصفات، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

أصول الأحكام في الحلال والحرام، للإمام أحمد بن سليمان/ تحت التحقيق لدينا.

الأعلام، لخير الدين الزركلي/ دار العلم للملايين ـ بيروت/ ط ٥.

أعيان الشيعة، لمحسن الأمين/ حققه حسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

الأمالي الشهير بـ((الأمالي الخميسية)) ، للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري/ رتبه محيي الدين محمد بن أحمد بن علي بن الوليد القرشي/ مطبعة الفجالة/ ط ١.

الأمالي الصغرى، للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني/ تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه/ دار التراث الإسلامي ـ صعدة/ ط ١ ١٩٩٣ م.

الأمثال النبوية، لمحمد الغروي/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت/ط١ ١٤٠١ هـ.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي/ تحقيق شعيب

الأرنووط/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت/ ط ١.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الإعتصام بحبل الله المتين، للإمام القاسم بن محمد بن علي/ الجمعية العلمية الملكية ـ عَمَّان/ ط ١.

الإمام الهادي والياً وفقيهاً ومجاهداً، لعبدالفتاح شايف نعمان/ ط ١.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي البزار/ تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله/ مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت/ ط ١.

تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي/ تحقيق إبراهيم الترزي/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت/ ط ٤.

تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، لأحمد بن محمد الشامي/ دار النفائس ـ بيروت/ ط ١.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

التحف شرح الزلف، لمجد الدين بن محمد المؤيدي/ ط ١.

ترجمة الإمام الحسن، لابن عساكر/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت/ ط ٢.

تفسير غريب القرآن، للإمام زيد بن علي عليه السلام/ تحقيق د. حسن محمد تقي الحكيم/ الدار العالمية ـ بيروت/ ط ١.

تفسير فرات الكوفي، لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي/ تحقيق محمد الكاظم/مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي ـ طهران/ط١.

تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي/ دار العلوم الحديثة ـ بيروت.

تلخيص الحبير، لابن حجر العسقلاني/ عني به عبدالله هاشم اليماني بالمدينة المنورة ـ الحجاز.

تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني/ دار الفكر / ط ١.

تهذيب تاريخ دمشق، لعبدالقادر بدران/ دار المسيرة ـ بيروت/ ط ٢.

توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني/ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد/ المكتبة السلفية ٧٣ ـ المدينة المنورة.

تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب/ للإمام يحيى بن الحسين بن محمد بن هارون الهاروني/ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة/ تحقيق أحمد محمد شاكر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ ط ١.

جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر/ دار الفكر ـ بيروت.

جلاء الأبصار، للحاكم الجشمي/ مخطوط.

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، لحميد بن أحمد المحلي/ مخطوط.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني/ دار الكتاب العربي/ ط ٤.

الحور العين، لأبي سعيد نشوان الحميري/ تحقيق كمال مصطفى/ دار آزال ـ بيروت/ المكتبة اليمنية ـ صنعاء/ ط ٢.

خصائص الإمام علي بن أبي طالب، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ ط ٢.

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، لحسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت/ ط٢.

درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين/ جمع العلامة عبد الله محمد بن حمزة بن أبي النجم الصعدي/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت/ ط ١.

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي/ تحقيق حسن بن علي السقاف/ دار الإمام النووي ـ عمان/ ط٢ ١٩٩٢ م.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري/ دار المعرفة ـ بيروت.

الذرية الطاهرة، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي/ حققه السيد محمد جواد الحسيني الجلالي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت/ ط٢.

الذكر، لمحمد بن منصور المرادي/ بترتيبنا وتحقيقنا/ تحت الطبع.

رجال شرح الأزهار، للجنداري ((مقدمة شرح الأزهار)) .

رسائل العدل والتوحيد، للحسن البصري والقاضي عبدالجبار والشريف المرتضى والإمام القاسم الرسي والإمام يحيى بن الحسين الهادي/ تحقيق د. محمد عمارة/ دار الشروق ـ القاهرة/ ط٢ ١٩٨٨ م.

سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، للإمام محمد بن الحسن بن القاسم/ بتحقيقنا/ دار التراث اليمني ـ صنعاء/ ط٢ ١٩٩٤ م.

سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري/ جمعه وعلق عليه العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم/ حققه وراجع هذه الطبعة القبيسي مصطفى/ دار قابس/ ط١.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق/ ط٥ ١٩٨٥ م.

سنن أبي داود = سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي/ دار الجيل ـ بيروت.

سنن ابن ماجه = أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي/ دار إحياء التراث العربي.

سنن البيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني/ دار الفكر.

سنن الدار قطني، لعلي بن عمر الدار قطني/ عالم الكتب - بيروت/ ط ٤.

سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي/ دار الكتب العلمية - بيروت.

سنن النسائي ((المجتبى)) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي/ تحقيق عبدالفتاح أبو غدة/ دار البشائر الإسلامية - بيروت/ ط ٢ ١٩٨٨ م.

سير أعلام النبلاء، للذهبي/ حققه مجموعة من المحققين/ مؤسسة الرسالة/ ط ٤.

سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ع)، لعلي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي/ تحقيق د. سهيل زكار/ دار الفكر - بيروت/ ط٢ ١٩٨١ م.

الشافي، للمنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان/ ٤ ج في ٢ م/ منشورات مكتبة اليمن الكبرى - صنعاء/ طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت/ ط ١.

شرح الأحكام، لعلي بن بلال/ مخطوط.

شرح التجريد، للإمام المؤيد أحمد بن الحسين الهاروني/ مخطوط.

شفاء الأوام، للأمير الحسين بن بدر الدين/ مخطوط.

شهداء الفضيلة، لآية الله المجاهد الشيخ عبدالحسيني الأميني/ دار الشهاب - قم.

صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري/ تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي/ المكتب الإسلامي - بيروت/ ط ١.

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري/ عالم الكتب - بيروت/ ط ٤.

صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

صحيفة علي بن موسى الرضا، طبع مع مجموع الإمام زيد في مجلد واحد/ دار مكتبة الحياة - بيروت.

طبقات أعلام الشيعة - نوابغ الرواة في رابعة المئات، لآغا بزرك الطهراني/ تحقيق علي نقي منزوي/ دار الكتاب العربي/ ط ١ ١٩٧١ م.

طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم، مخطوط.

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لجمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبة/ منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

العواصم والقواصم، للحافظ محمد بن إبراهيم الوزير اليماني/ تحقيق شعيب الأرنؤوط/ دار البشير - عمان/ ط ١.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب، لعبدالحسين أحمد الأميني النجفي/ دار الكتاب العربي - بيروت/ ط ٤.

فرائد السمطين، لإبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخراساني/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت/ ط ١.

الفلك الدوار في علوم الحديث والفقه والآثار، للسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير/ تحقيق محمد يحيى سالم عزان/ ط ١ .

فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم، لأبي الحسن علي بن عبيدالله بن بابويه الرازي من أعلام القرن الخامس/ تحقيق عبدالعزيز الطباطبائي/ دار الأضواء - بيروت/ ط ٢.

القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي/ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت/ ط ١.

الكاشف، للذهبي/ تحقيق لجنة من العلماء/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط ١.

الكامل في الضعفاء، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني/ تحقيق لجنة من المختصين/ دار الفكر ـ بيروت/ ط ٢.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي/ ضبطه الشيخ بكري حياني/ صححه الشيخ صفوة السقا/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت/ ط ٥.

لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ ط ٣.

لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة، لأبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي/ تحقيق محمد عبدالقادر عطا/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ ط١ ١٩٨٥ م.

المجروحين، لابن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي/ تحقيق محمود إبراهيم زايد/ دار المعرفة ـ بيروت.

مجمع الزوائد، للهيثمي/ دار الكتاب العربي ـ بيروت/ ط ٣.

مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي/ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري/ دار المعرفة ـ بيروت.

مسند أبي يعلى الموصلي/ تحقيق حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث ـ دمشق وبيروت/ ط ١.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال / دار الفكر.

مسند الإمام زيد ((المجموع)) ، للإمام زيد بن علي عليه السلام/ دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

مسند الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود/ دار المعرفة.

مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي/ مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند/ ط ١.

مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، لحسين عبدالله العمري/ دار المختار ـ دمشق.

المصنف، لابن أبي شيبة/ دار الحديث ـ القاهرة.

المصنف، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/ المكتب الإسلامي ـ

بيروت/ ط ٢.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/ دار المعرفة ـ بيروت.

مطلع البدور، لأحمد بن صالح بن أبي الرجال، مخطوط.

معجم الأدباء، لياقوت الحموي/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني/ حققه حمدي عبدالمجيد السلفي/ ط ٢.

معجم رجال الأذان بحي على خير العمل/ جمعه محمد يحيى سالم عزان/ تحت الطبع.

مناقب الإمام علي بن أبي طالب، للفقيه أبي الحسين علي بن محمد الشافعي المعروف بابن المغازلي/ تحقيق محمد باقر البهبودي/ دار الأضواء ـ بيروت.

مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، لجلال الدين السيوطي/ تحقيق الشيخ سمير القاضي/ مؤسسة الكتب الثقافية ـ دار الجنان ـ بيروت/ ط١.

المنتخب من مسند عبد بن حميد، لأبي محمد عبد بن حميد/ تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعدي/ عالم الكتب ـ بيروت/ ط ١.

المنية والأمل في شرح الملل والنحل، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى/ تحقيق د. محمد جواد مشكور/ دار الندى ـ بيروت/ ط٢ ١٩٩٠ م.

موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف/ إعداد أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول/ عالم التراث ـ بيروت/ ط ١ ١٩٨٩ م.

الموضوعات، لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي/ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان/ دار الفكر/ ط ٢.

ميزان الاعتدال، للذهبي/ تحقيق علي محمد البجاوي/ دار الفكر.

نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي/ دار الحديث/ المركز الإسلامي ـ الأهرام.

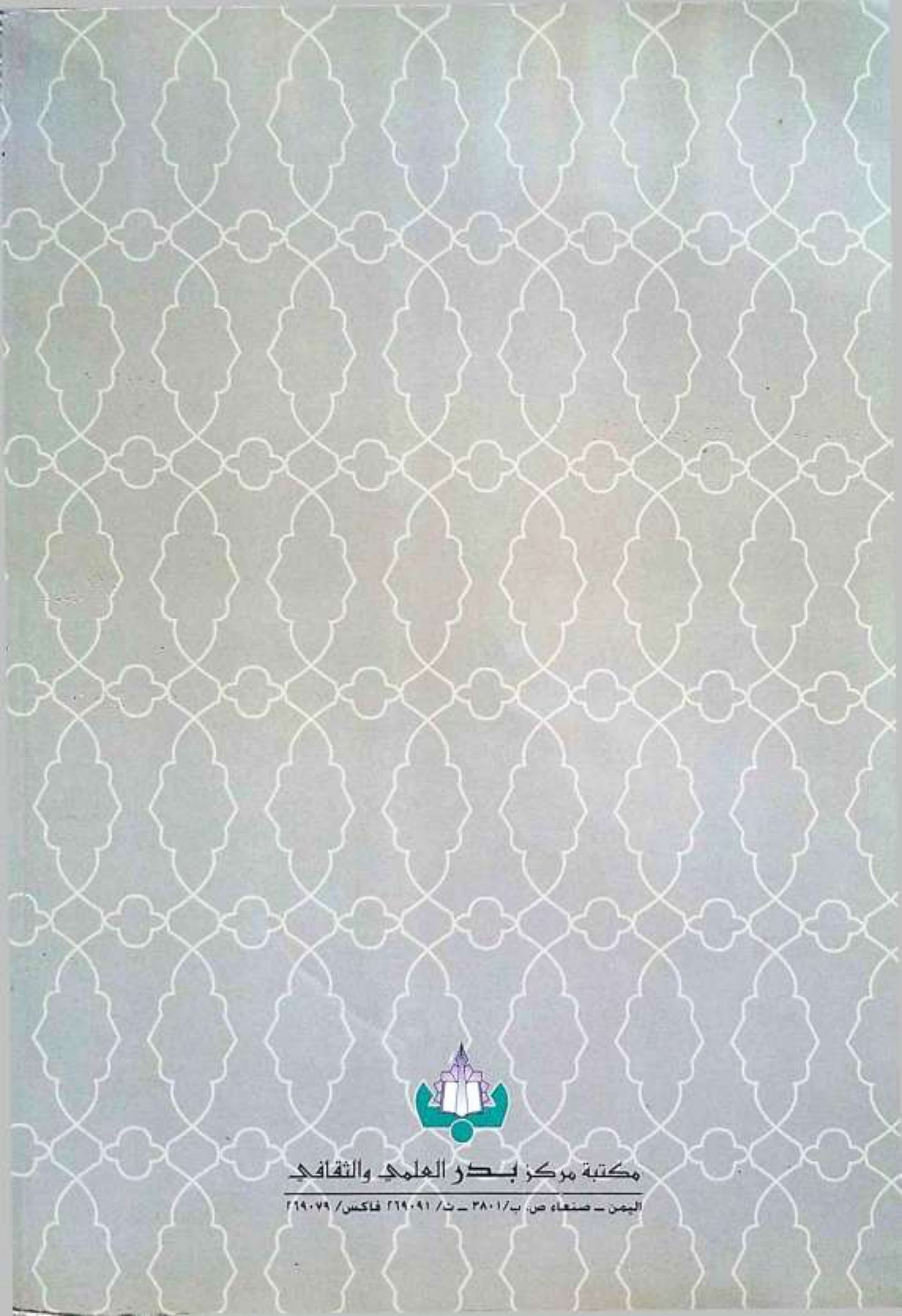
نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام/ تحقيق د. صبحي الصالح/ دار الكتاب اللبناني - بيروت/ ط٢ ١٩٨٢ م.

النوافخ العطرة في الأحاديث المشتهرة، للإمام محمد بن أحمد جار الله الصعدي/ تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط ١ ١٩٩٢ م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي/ دار إحياء التراث - بيروت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان/ تحقيق د. إحسان عباس/ ٨ ج/ دار صادر - بيروت.

يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، لأبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري/ تحقيق د. مفيد محمد قميحه/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط ١.



مكتبة مركز بـدر العلمي والثقافي
اليمن ـ صنعاء ص. ب/ ٣٨٠١ ـ ت/ ٢٦٩٠٩١ فاكس/ ٢٦٩٠٧٩